

اللمعة التاسعة والعشرون

رسالة التفكير الإيماني الرفيع
والمعرفة التوحيدية السامية^(١)

بِاسْمِهِ سُبْحَانَهُ

إخوتي!

إنّ رسالة التفكير هذه جليلة القدر، وإن إطلاق الإمام علي رضي الله عنه عليها -من جهة- اسم الآية الكبرى يبين قيمتها الرفيعة تماماً.

فهي رسالة معرفة إيمانية وردت إلى القلب بعين اليقين، في أثناء أذكار الصلاة. وأثمرت كثيراً من الرسائل، وأصبحت غذاءً للعقل والفكر وعلاجاً لهما طوال ثلاثين سنة. فمن الأنسب أن تُدرج ضمن "اللمعات" وأن يُطبع منها أربعون أو خمسون نسخة مستقلة.

سعيد النورسي

(١) كتب الأستاذ النورسي هذه الرسالة باللغة العربية، سوى المقدمات والهوامش التي كتبها بالتركية، واستنسخها المستنسخون مع ضبط الحروف ووضع الحركات تسهيلاً لقراءتها قراءة صحيحة، ولا سيما لغير قراء العربية. وقد احتفظنا بالنص كما هو مع ترجمة المقدمات والهوامش.

هذه اللمعة كُتبت في التجريد المطلق في
سجن "أسكي شهر" قبل عشرين سنة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين.

إيضاح

لقد امتزج قلبي بعقلي منذ ثلاثة عشر عاماً ضمن انتهاج مسلك التفكير الذي يأمر به القرآن المعجزُ البيانِ كقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة: ٢١٩) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٦) ﴿أَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ...﴾ (الروم: ٨) ﴿لَا يَأْتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الروم: ٢١) وأمثالها من الآيات التي تحث على التفكير مثلما يحدث عليه حثاً عظيماً الحديث الشريف كقوله ﷺ "تفكر ساعة خير من عبادة سنة" (١).

ولقد تواردت في غضون هذه السنوات الثلاثين على عقلي وقلبي ضمن انتهاج مسلك التفكير، أنوارٌ عظيمةٌ وحقائقٌ متسلسلة طويلة. فوضعتُ بضعة كلمات - من قبيل الإشارات - لا للدلالة على تلك الأنوار، بل للإشارة إلى وجودها ولتسهيل التفكير فيها وللمحافظة على انتظامها.

وكنت أرددُ بيني وبين نفسي تلك الكلمات لساناً بعبارات عربية في غاية الاختلاف. وعلى الرغم من تكراري لها آلاف المرات خلال هذه الفترة الطويلة وأنا أنتهج هذا التفكير لم يطرأ عليّ السأم ولم يعتر تدوفاً النقص، ولم تنتفِ حاجة الروح إليها. لأن ذلك التفكير

(١) انظر: أبو الشيخ، العظمة ١/٢٠٠؛ ابن أبي عاصم، الزهد ١٣٩؛ البيهقي، شعب الإيمان ١/١٣٥؛ أبو نعيم، حلية الأولياء ١/٢٠٩؛ العجلوني، كشف الخفاء ١/٣٧١.

لمعات تلمعت من آيات القرآن الكريم فتمثلت فيه جلوةً من خصائص الآيات، تلك هي عدم الاستشعار بالسأم والملل والحفاظ على حلاوتها وطراوتها.

وقد رأيت في الآونة الأخيرة أن العقدة الحياتية القوية والأنوار الساطعة التي تحتويها أجزاء رسائل النور ما هي إلا لمعات سلسلة ذلك التفكير، فنوِّت كتابه مجموعها في أخريات أيام عمري، على أمل تأثيرها في غيري مثلما أثرت فيّ. وستكون لمجموعها قوة وقيمة أخرى وإن أدرجت أهم أجزائها في الرسائل.

ولما كان آخر المطاف في رحلة العمر غير معيّن. وأن أوضاعي في سجن "أسكي شهر" قد بلغت حدّاً أشد من الموت بكثير، فقد كتبت تلك السلسلة من التفكير دون انتظار لآخر الحياة، ودون تغيير فيها، وبناءً على رغبة إخوة النور وإصرارهم بقصد استفادتهم. وجعلتها في سبعة أبواب.

ولما كانت الأكثرية المطلقة من هذا النوع من الحقائق تخطر بالبال في أثناء أذكار الصلاة، وأن كل كلمة من كلمات الأذكار بمثابة منبع تلك الحقائق. كان ينبغي أن تُكتب على وفق ترتيبها وتسلسلها في أذكار الصلاة، أي (سبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا إله إلا الله) إلا أن ظروف السجن الانفرادي المضطربة آنذاك قد أخلّت بذلك الترتيب.

أما الآن فستكون الأبواب على النحو الآتي:

الباب الأول: في "سبحان الله"

والباب الثاني: في "الحمد لله"

والباب الثالث: في "الله أكبر"

والباب الرابع: في "لا إله إلا الله".

وذلك لأن معظم الشافعية يذكرون: "لا إله إلا الله" ثلاثاً وثلاثين مرة بعد ذكرهم كلاً من سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين مرة.

سعيد النورسي

الباب الأول

في "سبحان الله"
وهو ثلاثة فصول

الفصل الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَسُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ السَّمَاءُ بِكَلِمَاتِ نُجُومِهَا وَشُمُوسِهَا وَأَقْمَارِهَا،
بِرُمُوزِ حَكْمِهَا... وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْجَوُّ بِكَلِمَاتِ سَحَابَاتِهِ وَرُغُودِهَا وَبُرُوقِهَا وَأَمْطَارِهَا،
بِإشاراتِ فَوَائِدِهَا... وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ رَأْسُ الْأَرْضِ بِكَلِمَاتِ مَعَادِنِهَا وَنَبَاتَاتِهَا وَأَشْجَارِهَا
وَحَيَوَانَاتِهَا، بِدَلالاتِ انْتِظَامَاتِهَا... وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النَّبَاتَاتُ وَالْأَشْجَارُ بِكَلِمَاتِ أَوْزاقِهَا
وَأَزْهَارِهَا وَثَمَرَاتِهَا، بِتَصْرِیحاتِ مَنَافِعِهَا... وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَزْهَارُ وَالْأَثْمَارُ بِكَلِمَاتِ
بُدُورِهَا وَأَجْنِحَتِهَا وَنَوَاتِنِهَا، بِعَجَائِبِ صَنَعَتِهَا... وَتُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ النُّوَاتَاتُ وَالْبُدُورُ بِاللِسَانِ
سَنابِلِهَا وَكَلِمَاتِ حَبَاتِهَا بِالْمُشَاهَدَةِ... وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ كُلُّ نَبَاتٍ بِعَايَةِ الْوُضُوحِ وَالظُّهُورِ
عِنْدَ انْكَشَافِ أَكْمَامِهَا وَتَبَسُّمِ بَنَانِهَا بِأَفْوَاهِ مُرَيِّنَاتِ أَزْهَابِهَا وَمُنْتَظَمَاتِ سَنابِلِهَا، بِكَلِمَاتِ
مُوزُونَاتِ بُدُورِهَا وَمَنْظُومَاتِ حَبَاتِهَا، بِلِسَانِ نِظَامِهَا فِي مِيزَانِهَا فِي تَنْظِيمِهَا فِي تَوْرِينِهَا
فِي صَنَعَتِهَا فِي صِبْغَتِهَا فِي زِينَتِهَا فِي نَقُوشِهَا فِي رَوَائِحِهَا فِي طُغُومِهَا فِي أَلْوَانِهَا فِي
أَشْكَالِهَا،^(١) كَمَا تَصِفُ تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِكَ وَتُعَرِّفُ جَلُواتِ أَسْمَائِكَ وَتُفَسِّرُ تَوَدُّدَكَ وَتُعَرِّفُكَ
بِمَا يَنْقَطِرُ مِنْ ظُرَافَةِ عَيْونِ أَزْهَابِهَا وَمِنْ طَرَاوَةِ أَسنانِ سَنابِلِهَا مِنْ رَشْحَاتِ لَمَعَاتِ جَلُواتِ
تَوَدُّدِكَ وَتُعَرِّفُكَ إِلَى عِبَادِكَ.

سُبْحَانَكَ يَا وَدُودُ يَا مَعْرُوفُ مَا أَحْسَنَ صُنْعَكَ وَمَا أَزِينَهُ وَمَا أَيْبَنَهُ وَمَا أَتَقَنَّهُ!

(١) إن اثني عشر مشهداً وحجاباً، مشهداً فوق مشهد، برهاناً ضمن برهان، دليلاً خلال دليل؛ تتبع كلها من زهرة واحدة بنغمات متنوعة ولمعات متباينة فثري القلب المصور الأزلي، وتلفت عين العقل إليه. (المؤلف).

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعَ الْأَشْجَارِ بِكَمَالِ الصَّرَاحَةِ وَالْبَيَانِ عِنْدَ انْفِتَاحِ
 أَكْمَامِهَا وَانْكَشَافِ أَزْهَارِهَا، وَتَزَايِدِ أَوْرَاقِهَا، وَتَكَامُلِ أثمارِهَا، وَرَفْصِ بَنَاتِهَا، عَلَى أَيْدِي
 أَغْصَانِهَا، حَامِدَةً بِأَفْوَاهِ أَوْرَاقِهَا الْخَضِرَةِ بِكَرَمِكَ، وَأَزْهَارِهَا الْمُتَسِمِّةِ بِلُطْفِكَ، وَأثمارِهَا
 الضَّاحِكَةِ بِرَحْمَتِكَ، بِالسِّنَةِ نِظَامِهَا فِي مِيزَانِهَا فِي تَنْظِيمِهَا فِي تَوْزِينِهَا فِي صَنْعَتِهَا فِي
 صِبْغَتِهَا فِي زِينَتِهَا فِي نُفُوسِهَا فِي طُعُومِهَا فِي رَوَائِحِهَا فِي أَلْوَانِهَا فِي أَشْكَالِهَا، فِي اخْتِلَافِ
 لُحُومِهَا، فِي كَثْرَةِ تَنَوُّعِهَا، فِي عَجَائِبِ^(١) خَلْقَتِهَا، كَمَا تَصِفُ صِفَاتِكَ، وَتُعَرِّفُ أَسْمَاءَكَ،
 وَتُفَسِّرُ تَحْبِيبَكَ وَتَعْتَدُّكَ لِمَصْنُوعَاتِكَ بِمَا يَتَرَشَّحُ مِنْ شِفَاهِ ثَمَارِهَا مِنْ قَطْرَاتِ رَشْحَاتِ
 لَمَعَاتِ جَلُوتِ تَحْبِيبِكَ وَتَعْتَدُّكَ لِمَخْلُوقَاتِكَ.

حَتَّى كَأَنَّ الشَّجَرَةَ الْمُرْهَرَّةَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً مُحَرَّرَةً، لِتُشِيدَ لِلصَّانِعِ الْمَدَائِحَ الْمُبَهَّرَةَ.

أَوْ فَتَحَتْ بِكَثْرَةِ عُيُونِهَا الْمُبْصِرَةَ لِتَنْظُرَ لِلْفَاطِرِ الْعَجَائِبَ الْمُسْتَشْرَةَ.

أَوْ زَيَّنَتْ لِعِيدِهَا أَعْضَاءَهَا الْمُخَضَّرَةَ لِيَشْهَدَ سُلْطَانُهَا آثَارَهَا الْمُنُورَةَ. وَتُشْهِرَ فِي الْمَشْهِرِ
 مُرْصَعَاتِ الْجَوْهَرِ. وَتُعْلِنَ لِلْبَشَرِ حِكْمَةَ خَلْقِ الشَّجَرِ.

سُبْحَانَكَ مَا أَحْسَنَ إِحْسَانِكَ، مَا أَتَيْنَ تَبَيَانِكَ، مَا أَبْهَرَ بُرْهَانَكَ، وَمَا أَظْهَرَ وَمَا أَنْوَرَهُ!
 سُبْحَانَكَ مَا أَعْجَبَ صَنْعَتَكَ!

تَلَأُلُ الضِّيَاءِ بِدَلَالَةِ حِكْمِهَا؛ مِنْ تَنْوِيرِكَ، تَشْهِيرِكَ.. تَمَوْجُ الْأَعْصَارِ بِسِرِّ وَظَائِفِهَا -
 خُصُوصاً فِي نَقْلِ الْكَلِمَاتِ - مِنْ تَصْرِيْفِكَ، تَوْظِيفِكَ.. تَفْجُرُ الْأَنْهَارِ بِإِشَارَةِ فَوَائِدِهَا مِنْ
 تَدْخِيرِكَ، تَسْخِيرِكَ.. تَزَيِّنُ الْأَحْجَارَ وَالْحَدِيدَ بِرُمُوزِ خَوَاصِّهَا وَمَنَافِعِهَا - خُصُوصاً فِي
 نَقْلِ الْأَصْوَاتِ وَالْمُخَابَرَاتِ - مِنْ تَدْبِيرِكَ، تَصْوِيرِكَ.. تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ بِعَجَائِبِ حِكْمِهَا مِنْ
 تَحْسِينِكَ، تَزِينِكَ.. تَبْرُجُ الْأَثْمَارَ بِدَلَالَةِ فَوَائِدِهَا مِنْ إِعْطَائِكَ، إِكْرَامِكَ.. تَسْجُعُ الْأَطْيَارِ
 بِإِشَارَةِ انْتِظَامِ شَرَائِطِ حَيَاتِهَا مِنْ انْطِقَافِكَ إِرفَاقِكَ.. تَهَزُّجُ الْأَمْطَارِ بِشَهَادَةِ فَوَائِدِهَا مِنْ تَنْزِيلِكَ،
 تَفْضِيلِكَ.. تَحْرُكُ الْأَقْمَارِ بِشَهَادَةِ حَكْمِ حَرَكَاتِهَا مِنْ تَقْدِيرِكَ، تَدْبِيرِكَ، تَدْوِيرِكَ، تَنْوِيرِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا أَنْوَرَ بُرْهَانَكَ مَا أَبْهَرَ سُلْطَانَكَ!

(١) هذه الدلائل الخمسة عشر، الدليل ضمن الدليل، والبرهان داخل البرهان تشير إلى الصانع الجليل.
 (المؤلف).

الفصل الثاني

سُبْحَانَكَ لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ فِي فُرْقَانِكَ، وَأَتْنَى عَلَيْكَ حَبِيبِكَ بِإِذْنِكَ، وَأَتْنْتُ عَلَيْكَ جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِكَ بِإِنطَاقِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ يَا مَعْرُوفَ بِمُعْجَزَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ، وَبِتَوْصِيفَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ، وَبِتَعْرِيفَاتِ جَمِيعِ مَوْجُودَاتِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا ذَكَرْنَاكَ حَقَّ ذِكْرِكَ يَا مَذْكُورَ بِالسَّنَةِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ، وَبِأَنْفُسِ جَمِيعِ كَلِمَاتِ كِتَابِ كَاتِبَاتِكَ، وَبِتَحِيَّاتِ جَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ مِنْ مَخْلُوقَاتِكَ لَكَ، وَبِمُزُونَاتِ جَمِيعِ الْأُورَاقِ الْمُهْتَرَّةِ الذَّاكِرَةِ فِي جَمِيعِ أَشْجَارِكَ وَنَبَاتَاتِكَ.

سُبْحَانَكَ مَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ يَا مَشْكُورَ بِأَثْنِيَةِ جَمِيعِ إِحْسَانَاتِكَ عَلَى إِحْسَانِكَ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ، وَبِإِعْلَانَاتِ جَمِيعِ نِعَمِكَ عَلَى إِنْعَامِكَ فِي سُوقِ الْكَائِنَاتِ وَبِمَنْظُومَاتِ جَمِيعِ ثَمَرَاتِ رَحْمَتِكَ وَنِعْمَتِكَ لَدَى أَنْظَارِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَبِتَحْمِيدَاتِ جَمِيعِ مُوزُونَاتِ أَزْهِيرِكَ وَعِنَاقِيدِكَ الْمُنْتَظِمَةِ فِي حُبُوطِ الْأَشْجَارِ وَالنَّبَاتَاتِ.

سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ، وَمَا أَزِينَ بُرْهَانُكَ، وَمَا أَظْهَرَهُ وَمَا أَبْهَرَهُ!

سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ يَا مَعْبُودَ جَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ وَجَمِيعِ ذَوِي الْحَيَاةِ وَجَمِيعِ الْعَنَاصِرِ وَالْمَخْلُوقَاتِ، بِكَمَالِ الْإِطَاعَةِ وَالْإِمْتِنَالِ وَالْإِنْتِظَامِ وَالْإِتْفَاقِ وَالْإِشْتِيَاقِ.

سُبْحَانَكَ مَا سَبَّحْنَاكَ حَقَّ تَسْبِيحِكَ يَا مَنْ ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ (الإسراء: ٤٤).

سُبْحَانَكَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ مَصْنُوعَاتِكَ، وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ جَمِيعِ مَخْلُوقَاتِكَ لَكَ.

سُبْحَانَكَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَمَلَائِكَتِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُكَ وَتَسْلِيمَاتُكَ.

سُبْحَانَكَ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْكَائِنَاتِ بِجَمِيعِ تَسْبِيحَاتِ حَبِيبِكَ الْأَكْرَمِ ﷺ. وَبِجَمِيعِ تَحْمِيدَاتِ رَسُولِكَ الْأَعْظَمِ لَكَ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ صَلَوَاتِكَ وَأَتَمُّ تَسْلِيمَاتِكَ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ هَذِهِ الْكَائِنَاتُ بِأُصْدِيَةِ تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ لَكَ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي تَتَمَوَّجُ أُصْدِيَةُ تَسْبِيحَاتِهِ لَكَ عَلَى أَمْوَاجِ الْأَعْصَارِ وَأَفْوَاجِ
الْأَجْيَالِ... اللَّهُمَّ فَابْدُ عَلَى صَفَحَاتِ الْكَائِنَاتِ وَأُورَاقِ الْأَوْقَاتِ إِلَى قِيَامِ الْعَرَصَاتِ أُصْدِيَةَ
تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمَاتِ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الدُّنْيَا بِآثَارِ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. اللَّهُمَّ
فَرِّزِ الدُّنْيَا بِآثَارِ دِيَانَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ الْأَرْضَ سَاجِدَةً تَحْتَ عَرْشِ عَظَمَةِ قُدْرَتِكَ بِلِسَانِ
مُحَمَّدِهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... اللَّهُمَّ فَانْطِقِ الْأَرْضَ بِأَفْطَارِهَا بِلِسَانِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ وَالْقِيَامِ.

سُبْحَانَكَ يَا مَنْ تُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي جَمِيعِ الْأَمَكَنَةِ وَالْأَوْقَاتِ
بِلِسَانِ مُحَمَّدِهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... اللَّهُمَّ فَانْطِقِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامِ
بِأُصْدِيَةِ تَسْبِيحَاتِ مُحَمَّدٍ لَكَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

الفصل الثالث

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْأَضْدَادِ وَالْأَنْدَادِ
وَالشُّرَكَاءِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْأَرْزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْمُعِينِ وَالْوَزَرَاءِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيمِ الْأَرْزَلِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ مُشَابَهَةِ الْمُحَدَّثَاتِ
الزَّائِلَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاجِبِ وَجُودُهُ، الْمُمْتَنِعِ نَظِيرُهُ، الْمُمَكِّنِ كُلِّ مَا سِوَاهُ، الْمُتَقَدِّسِ
الْمُتَنَزِّهِ عَنِ لَوَازِمِ مَا هِيَاتِ الْمُمَكِّنَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)
الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا تَتَّصَرُّهُ الْأَوْهَامُ الْقَاصِرَةُ الْخَاطِئَةُ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي ﴿لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ﴾ (الروم: ٢٧) الْمُتَقَدِّسُ الْمُتَنَزِّهُ عَمَّا تَصِفُهُ الْعَقَائِدُ النَّاقِصَةُ الْبَاطِلَةُ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الْغَنِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْعَجْزِ وَالْاِحْتِيَاجِ.
 ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْكَامِلِ الْمُطْلَقِ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ
 الْقُصُورِ وَالنُّقْصَانِ، بِشَهَادَاتِ كَمَالَاتِ الْكَائِنَاتِ. إِذْ مَجْمُوعُ مَا فِي الْكَائِنَاتِ مِنَ الْكَمَالِ
 وَالْجَمَالِ ظِلٌّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ سُبْحَانَهُ، بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ وَبِالْبُرْهَانِ الْقَاطِعِ وَبِالدَّلِيلِ
 الْوَاضِحِ. إِذِ التَّنْوِيرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الثُّورَانِيِّ، وَبِدَوَامِ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ وَالْكَمَالِ مَعَ تَفَانِي
 الْمَرَايَا وَسَيَّالِيَةِ الْمَظَاهِرِ، وَبِاجْتِمَاعِ وَاتِّفَاقِ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْأَعَاظِمِ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ
 وَالْكَشْفِيَّاتِ الْمُتَّفِقِينَ عَلَى ظِلِّيَّةِ كَمَالَاتِ الْكَائِنَاتِ لِأَنْوَارِ كَمَالِ الذَّاتِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ السَّرْمَدِيِّ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّعْيِيرِ وَالتَّبَدُّلِ
 اللَّازِمِينَ لِلْمُحْدَثَاتِ الْمُتَجَدِّدَاتِ الْمُتَكَامِلَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ خَالِقِ الْكَوْنِ وَالْمَكَانِ، الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ التَّحْيُزِ وَالتَّجَزُّؤِ
 اللَّازِمِينَ لِلْمَادِيَّاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ الْكَثِيفَاتِ الْكَثِيرَاتِ الْمُقَيَّدَاتِ الْمَحْدُودَاتِ.

ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْقَدِيمِ الْبَاقِيِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْحُدُوثِ وَالزُّوَالِ.
 ذُو الْجَلَالِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ الْمُتَقَدِّسِ الْمُتَنَزِّهِ عَنِ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ، وَعَنِ
 الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ، وَعَنِ الْحَضَرِ وَالتَّحْدِيدِ، وَعَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَنَابِهِ وَمَا لَا يُنَاسِبُ وَجُوبَ
 وُجُودِهِ، وَعَمَّا لَا يُوَافِقُ أَرْزَلِيَّتَهُ وَأَبْدِيَّتَهُ.

جَلَّ جَلَالُهُ. وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

الباب الثاني

في " الحمد لله .. " ⁽¹⁾ في هذا الباب تسع نقاط..

النقطة الأولى:

الحمد لله على نعمة الإيمان المزيل عنا ظلمات الجهات الست.

إذ جهة الماضي في حكم يميننا مظلمة وموحشة بكونها مزاراً أكبر. وبنعمة الإيمان تزول تلك الظلمة وينكشف المزار الأكبر عن مجلس منور.

ويسارنا الذي هو الجهة المستقبلية، مظلمة وموحشة بكونها قبراً عظيماً لنا. وبنعمة الإيمان تنكشف عن جنان مزيئة فيها ضيافات رحمانية.

وجهة فوق وهو عالم السموات موحشة مذهشة بنظر الفلسفة. فبنعمة الإيمان تتكشف تلك الجهة عن مصابيح متبسمة مسخرة بأمر من زين وجه السماء بها، يُستأنس بها ولا يتوحش منها.

وجهة التحت وهي عالم الأرض موحشة بوضعيتها في نفسها بنظر الفلسفة الضالة. فبنعمة الإيمان تتكشف عن سفينة ربانية مسخرة ومشحونة بأنواع اللذائذ والمطعومات؛ قد أركبها صانعها نوع البشر وجنس الحيوان للسياحة في أطراف مملكة الرحمن.

وجهة الأمام الذي يتوجه إلى تلك الجهة كل ذوي الحياة مُسرعة قافلة خلف قافلة، تغيب تلك القوافل في ظلمات العدم بلا رجوع. وبنعمة الإيمان تتكشف تلك الساحة عن انتقال ذوي الحياة من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن مكان الخدمة إلى موضع أخذ الأجرة، ومن محل الزحمة إلى مقام الرحمة والاستراحة. وأما سرعة ذوي الحياة في أمواج الموت، فليست سقوطاً ومصيبة، بل هي صعودٌ باستيقاقٍ وتساخُجٍ إلى سعاداتهم.

وجهة الخلف أيضاً مظلمة موحشة. فكل ذي شعور يتحير متردداً ومُستفسراً بـ

(1) لما كان الشكر أهم أسس رسائل النور بعد التفكير، وأن أكثر مراتب الحمد والشكر والحمد وحقائقهما قد أوضحت إيضاحاً كاملاً في أجزاء رسائل النور؛ لذا يذكر هنا بعض مراتب الحمد الذي يقابل نعمة الإيمان ذكراً مختصراً جداً، اكتفاءً بتلك المراتب المذكورة. فإن للحمد مراتب حسب مراتب نعمة الإيمان. (المؤلف).

أَيْنَ؟ إِلَى أَيْنَ؟". فَلَأَنَّ الْعَفْلَةَ لَا تُعْطَى لَهُ جَوَابًا، يَصِيرُ التَّرَدُّدُ وَالتَّحْيِيرُ ظُلُمَاتٍ فِي رُوحِهِ..
فَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ تَنْكَشِفُ تِلْكَ الْجِهَةٌ عَنْ مَبْدَأِ الْإِنْسَانِ وَوُضُوعِهِ، وَبِأَنَّ الشَّلْطَانَ الْأَزَلِّيَّ
أَرْسَلَهُمْ مُوظَّفِينَ إِلَى دَارِ الْامْتِحَانِ..

فَمِنْ هَذِهِ الْحَقِيقَةِ يَكُونُ "الْحَمْدُ" عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ لِلظُّلُمَاتِ عَنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ
السَّتِّ أَيْضًا نِعْمَةً عَظِيمَةً تَسْتَلْزِمُ "الْحَمْدَ". إِذْ بـ"الْحَمْدِ" يُفْهَمُ دَرَجَةُ هَذِهِ النِّعْمَةِ وَلَدَّتْهَا.
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "الْحَمْدِ لِلَّهِ فِي تَسْلُسُلٍ يَتَسَلَّسَلُ فِي دَوْرٍ دَائِرٍ بِلا نَهَايَةٍ".

النقطة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِيمَانِ الْمُنَوِّرِ لَنَا الْجِهَاتِ السَّتِّ. فَكَمَا أَنَّ الْإِيمَانَ بِإِزَالَتِهِ
لِظُلُمَاتِ الْجِهَاتِ السَّتِّ نِعْمَةً عَظِيمَةً مِنْ جِهَةٍ دَفَعِ الْبَلَايَا؛ كَذَلِكَ أَنَّ الْإِيمَانَ لِتَنْوِيرِهِ
لِلْجِهَاتِ السَّتِّ نِعْمَةً عَظِيمَةً أُخْرَى مِنْ جِهَةٍ جَلَبِ الْمَنَافِعِ. فَالْإِنْسَانُ لِعَلاَقَتِهِ بِجَامِعِيَّةِ
فِطْرَتِهِ بِمَا فِي الْجِهَاتِ السَّتِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ. وَبِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ يُمَكِّنُ لِلْإِنْسَانِ اسْتِيفَادَةَ مِنْ
جَمِيعِ الْجِهَاتِ السَّتِّ أَيْنَمَا يَتَوَجَّهْ. فَبَسِّرْ ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٥) تَتَوَوَّرُ لَهُ
تِلْكَ الْجِهَةُ بِمَسَافَتِهَا الطَّوِيلَةِ بِلا حَدٍّ. حَتَّى كَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ لَهُ عُمُرٌ مَعْنَوِيٌّ يَمْتَدُّ مِنْ
أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِهَا، يَشْتَمِدُّ ذَلِكَ الْعُمُرُ مِنْ نُورِ حَيَاةٍ مُمْتَدَّةٍ مِنَ الْأَزَلِّ إِلَى الْأَبَدِ. وَحَتَّى
إِنَّ الْإِنْسَانَ بِسِرِّ تَنْوِيرِ الْإِيمَانِ لِجِهَاتِهِ يَخْرُجُ عَنْ مَضِيقِ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ وَالْمَكَانِ الضَّمِيْقِ
إِلَى سَاحَةِ وَسْعَةِ الْعَالَمِ، وَيَصِيرُ الْعَالَمُ كَبَيْتِهِ، وَالْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلُ زَمَانًا حَاضِرًا لِرُوحِهِ
وَقَلْبِهِ. وَهَكَذَا فَقَسْ...

النقطة الثالثة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْإِيمَانِ الْحَاوِي لِتُقَطُّبِي الْأَسْتِنَادِ وَالْإِسْتِمْدَادِ.
نَعْمَ، بِسِرِّ غَايَةِ عَجْزِ الْبَشَرِ وَكَثْرَةِ أَعْدَائِهِ يَحْتَاجُ الْبَشَرُ أَشَدَّ احْتِيَاجًا إِلَى نُقْطَةِ اسْتِنَادٍ
يَلْتَجِئُ إِلَيْهَا لِدَفْعِ أَعْدَائِهِ الْغَيْرِ^(١) الْمَحْدُودَةِ، وَبِغَايَةِ فَقْرِ الْإِنْسَانِ مَعَ غَايَةِ كَثْرَةِ حَاجَاتِهِ
وَأَمَالِهِ يَحْتَاجُ أَشَدَّ احْتِيَاجًا إِلَى نُقْطَةِ اسْتِمْدَادٍ يَسْتَمِدُّ مِنْهَا، وَيَسْأَلُ حَاجَاتِهِ بِهَا.

(١) جاء في المصباح المنير للفيومى، في مادة (غير) ما نصّه: "... وقوله تعالى: ﴿غير المغضوب عليهم﴾ إنما وصف بها المعرفة، لأنها أشتبهت المعرفة بإضافتها إلى المعرفة، فعولمت معاملتها. ومن هنا اجترأ بعضهم فأدخل عليها الألف واللام، لأنها لما شابهت المعرفة، بإضافتها إلى المعرفة، جاز أن يدخلها ما يعقب الإضافة، وهو الألف واللام...".

فَالْإِيمَانُ بِاللَّهِ هُوَ نُقْطَةٌ اسْتِنَادٌ لِفِطْرَةِ الْبَشَرِ. وَالْإِيمَانُ بِالْآخِرَةِ هُوَ نُقْطَةٌ اسْتِمْدَادٌ لِيُجَدَّانِهِ. فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَاتَيْنِ النُّقْطَتَيْنِ يَتَوَحَّشُ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَرُوحُهُ، وَيُعَذِّبُهُ وَجْدَانُهُ دَائِمًا. وَمَنْ اسْتَنَّدَ بِالْإِيمَانِ إِلَى النُّقْطَةِ الْأُولَى، وَاسْتَمَدَّ مِنَ النُّقْطَةِ الثَّانِيَةِ، أَحْسَسَ مِنْ أَعْمَاقِ رُوحِهِ لِدَائِدِ مَعْنَوِيَّةٍ وَأُنْسِيَّةٍ مُسَلِّيَّةٍ وَعَاطِمَادًا يَطْمَئِنُّ بِهَا وَجْدَانُهُ.

النقطة الرابعة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ الْمُزِيلِ لِلْآلَامِ عَنِ اللَّذَائِدِ الْمَشْرُوعَةِ بِإِرَاءَةِ دَوْرَانِ الْأَمْثَالِ، وَالْمُدِيمِ لِلتَّعْمِ بِإِرَاءَةِ شَجَرَةِ الْإِنْعَامِ، وَالْمُزِيلِ الْآلَامِ الْفِرَاقِ بِإِرَاءَةِ لَذَّةِ تَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ. يَعْنِي أَنَّ فِي كُلِّ لَذَّةٍ آلامًا تَنْشَأُ مِنْ زَوَالِهَا. فَيُنُورُ الْإِيمَانُ يَزُولُ الزَّوَالِ، وَيَتَقَلَّبُ إِلَى تَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ. وَفِي التَّجَدُّدِ لَذَّةٌ أُخْرَى..

فَكَمَا أَنَّ الثَّمَرَ إِذَا لَمْ تُعْرِفْ شَجَرَتُهَا تَنْحَصِرُ النِّعْمَةُ فِي تِلْكَ الثَّمَرَةِ. فَتَزُولُ بِأَكْلِهَا. وَتُورِثُ تَأْسُفًا عَلَى فَقْدِهَا، وَإِذَا عُرِفَتْ شَجَرَتُهَا وَشُوهِدَتْ، يَزُولُ الْآلَمُ فِي زَوَالِهَا لِبَقَاءِ شَجَرَتِهَا الْحَاضِرَةِ، وَتَبْدِيلِ الثَّمَرَةِ الْفَائِنَةِ بِأَمْثَالِهَا. وَكَذَا إِنَّ مِنْ أَشَدِّ حَالَاتِ رُوحِ الْبَشَرِ هِيَ التَّلَامُتُ النَّاشِئَةُ مِنَ الْفِرَاقَاتِ. فَيُنُورُ الْإِيمَانُ تَفْتَرِقُ الْفِرَاقَاتِ وَتَنْعَدِمُ. بَلْ تَنْقَلِبُ بِتَجَدُّدِ الْأَمْثَالِ الَّذِي فِيهِ لَذَّةٌ أُخْرَى إِذْ "كُلُّ جَدِيدٍ لَذِيذٌ"...

النقطة الخامسة

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نُورِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَوِّرُ مَا يُتَوَهَّمُ أَعْدَاءَ وَأَجَانِبَ وَأَمْوَاتًا مُوحِشِينَ، وَأَيْتَامًا بَاكِينَ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ، أَحْبَابًا وَإِخْوَانًا وَأَحْيَاءَ مُؤَنِّسِينَ، وَعِبَادًا مُسَبِّحِينَ ذَاكِرِينَ.. يَعْنِي أَنَّ نَظَرَ الْغَفْلَةِ يَرَى مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ مُضْرِبِينَ كَالْأَعْدَاءِ وَيَتَوَحَّشُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَرَى الْأَشْيَاءَ كَالْأَجَانِبِ. إِذْ فِي نَظَرِ الضَّلَالَةِ تَنْقَطِعُ عِلَاقَةُ الْأُخُوَّةِ فِي كُلِّ الْأَزْمِنَةِ الْمَاضِيَةِ وَالْاسْتِقْبَالِيَّةِ. وَمَا أُخُوَّتُهُ وَعِلَاقَتُهُ إِلَّا فِي زَمَانٍ حَاضِرٍ صَغِيرٍ قَلِيلٍ. فَأُخُوَّةُ أَهْلِ الضَّلَالَةِ كَدَقِيقَةٍ فِي أُلُوفِ سَنَةٍ مِنَ الْأَجْنَبِيَّةِ. وَأُخُوَّةُ أَهْلِ الْإِيمَانِ تَمْتَدُّ مِنْ مَبْدَأِ الْمَاضِيِ إِلَى

مُنْتَهَى الْاسْتِقْبَالِ. وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلَالَةِ يَرَى أَجْرَامَ الْكَائِنَاتِ أَمْوَاتًا مُوحِشِينَ. وَنَظَرَ الْإِيمَانِ يُشَاهِدُ أَوْلِيكَ الْأَجْرَامِ أَحْيَاءَ مُؤَنِّسِينَ يَتَكَلَّمُ كُلُّ جَزْمٍ بِلِسَانِ حَالِهِ بِتَسْبِيحَاتِ فَاطِرِهِ. فَلَهَا رُوحٌ وَحَيَاةٌ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. فَلَا تَكُونُ مُوحِشَةً مُدْهِشَةً، بَلْ أُنْسِيَّةٌ مُؤَنِّسَةٌ. وَإِنَّ نَظَرَ الضَّلَالَةِ

يرى ذوي الحياة العاجزين عن مطالبهم ليس لهم حام متودد وصاحب متعهد. كأنهم أيتام
يكون من عجزهم وحزنهم ويأسهم. ونظر الإيمان يقول: إن ذوي الحياة ليسوا أيتاماً
باكين، بل هم عباد مكلفون ومأمورون موظفون وذاكرون مسبحون.

النقطة السادسة

الحمد لله على نور الإيمان المصور للدارين كسفرتين مملوءتين من النعم يستفيد منهما
المؤمن بيد الإيمان بأنواع حواسه الظاهرة والباطنة، وأقسام لطائفه المعنوية والزوجية
المنكشفة بضياء الإيمان.

نعم، إن في نظر الضلالة تصاعُر دائرة استفادة ذوي الحياة إلى دائرة لذائذ المادية
المنغصة بزوالها. وينور الإيمان توسع دائرة الاستفادة إلى دائرة تحيط بالسموات
والأرض بل بالدنيا والآخرة. فالمؤمن يرى الشمس كسراج في بيته ورفيقاً في وظيفته
وأنيساً في سفره؛ وتكون الشمس نعمة من نعمة. ومن تكون الشمس نعمة له تكون دائرة
استفادته وسفرة نعمته أوسع من السموات.

فالقُرآن المعجز البيان بأمثال ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ (إبراهيم: ٣٣) و﴿سَخَّرَ لَكُمْ
مَا فِي الْأَرْضِ﴾ (الحج: ٦٥) يُشيرُ ببلاغته إلى هذه الإحسانات الخارقة الناشئة من الإيمان.

النقطة السابعة

الحمد لله على الله. فوجود الواجب الوجود نعمة ليست فوقها نعمة لكل أحد ولكل
موجود. وهذه النعمة تتضمن أنواع نعم لا نهاية لها، وأجناس إحسانات لا غاية لها،
وأصناف عطيات لا حد لها.

قد أُشير إلى قسم منها في أجزاء رسائل النور وبالخاصة "في الموقف الثالث من
الرسالة الثانية والثلاثين". وكلُّ الرسائل الباحثة عن الإيمان بالله من أجزاء رسائل النور
تكشف الحجاب عن وجه هذه النعمة. فاكتفاءً بها تقتصر هنا.

الحمد لله على "رحمانيته" تعالى التي تتضمن نعماً بعدد من تعلق به الرحمة من ذوي
الحياة. إذ في فطرة الإنسان بسرِّ جامعته علاقات بكلِّ ذوي الحياة تحصل له سعادة معنوية
بسبب سعادتهم. وفي فطرته تأثر بالآمهم. فالنعمه عليهم تكون نوع نعمة لذلك الإنسان.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "رَحِيمِيَّتِهِ" تَعَالَى بِعَدَدِ الْأَطْفَالِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ بِشَفَقَاتِ وَالِدَاتِهِمْ، إِذْ كَمَا أَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ فِطْرَةٌ سَلِيمَةٌ يَتَأَلَّمُ وَيَتَوَجَّعُ مِنْ بُكَاءِ طِفْلِ جَائِعٍ لَا وَالِدَةَ لَهُ؛ كَذَلِكَ يَتَنَعَّمُ بِتَعَطُّفِ الْوَالِدَاتِ عَلَى أَطْفَالِهَا.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "حَكِيمِيَّتِهِ" تَعَالَى بِعَدَدِ دَقَائِقِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ حِكْمَتِهِ فِي الْكَائِنَاتِ، إِذْ كَمَا تَتَنَعَّمُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ بِجَلَوَاتِ رَحْمَانِيَّتِهِ، وَيَتَنَعَّمُ قَلْبُ الْإِنْسَانِ بِتَجَلِّيَاتِ رَحِيمِيَّتِهِ؛ كَذَلِكَ يَتَلَذَّذُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ بِلَطَائِفِ حِكْمَتِهِ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "حَفِظِيَّتِهِ" تَعَالَى بِعَدَدِ تَجَلِّيَاتِ اسْمِهِ "الْوَارِثِ"، وَبِعَدَدِ جَمِيعِ مَا بَقِيَ بَعْدَ فَوَاتِ أُصُولِهَا وَأَبَائِهَا وَصَوَاحِبِهَا، وَبِعَدَدِ مَوْجُودَاتِ دَارِ الْآخِرَةِ، وَبِعَدَدِ آمَالِ الْبَشَرِ الْمَحْفُوظَةِ لِأَجْلِ الْمُكَافَأَةِ الْآخِرَوِيَّةِ. إِذْ دَوَامُ النِّعْمَةِ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ مِنْ نَفْسِ النِّعْمَةِ؛ وَبِقَاءِ اللَّذَّةِ لَذَّةٌ أَعْلَى لَذَّةً مِنْ نَفْسِ اللَّذَّةِ، وَالْخُلُودُ فِي الْجَنَّةِ نِعْمَةٌ فَوْقَ نَفْسِ الْجَنَّةِ. وَهَكَذَا... فَحَفِظِيَّتُهُ تَعَالَى تَتَضَمَّنُ نِعْمًا أَكْثَرَ وَأَزِيدَ وَأَعْلَى مِنْ جَمِيعِ النِّعَمِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ.

وهكذا، فُقِسَ عَلَى اسْمِ "الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ وَالْحَكِيمِ وَالْحَفِظِ" سَائِرُ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ تَعَالَى حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ. لِمَا أَنَّ فِي كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا نِعْمًا بِلَا نِهَآيَةٍ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ تَرْجُمَانٌ لِكُلِّ مَا مَضَى مِنْ جَمِيعِ الْإِنْعَامَاتِ الَّتِي لَا نِهَآيَةَ لَهَا حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ. إِذْ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِلْإِيمَانِ الَّذِي فِيهِ جَمِيعُ الْمَفَاتِيحِ لِجَمِيعِ خَزَائِنِ النِّعَمِ الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا فِي هَذَا الْبَابِ الثَّانِي أَنْفَاءً. الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرْضِيَّاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَفِهْرِسْتَةُ لِأَنْوَاعِ نِعْمِهِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، حَمْدًا بِلَا نِهَآيَةٍ.

النقطة الثامنة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَحْمَدُ لَهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِإِظْهَارِ أَوْصَافِ جَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، هَذَا الْكِتَابُ الْكَبِيرُ الْمُسَمَّى بـ"الْكَائِنَاتِ" بِجَمِيعِ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهَا، وَبِجَمِيعِ صَحَائِفِهِ وَسُطُورِهِ، وَبِجَمِيعِ

كَلِمَاتِهِ وَحُرُوفِهِ، كُلُّ بَقْدَرٍ نَسَبْتَهُ يَحْمَدُهُ تَعَالَى وَيُسَبِّحُهُ بِإِظْهَارِ بَوَارِقِ أَوْصَافِ جَلَالِ نَقَاشِهِ
الْأَحَدِ الصَّمَدِ بِمُظْهَرِيَّةٍ كُلِّ بَقْدَرٍ نَسَبْتَهُ لِأَضْوَاءِ أَوْصَافِ جَمَالِ كَاتِبِهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،
وَبِمُظْهَرِيَّةٍ كُلِّ بَقْدَرٍ نَسَبْتَهُ لِأَنْوَارِ أَوْصَافِ كَمَالِ مُنْشِئِهَا وَمُنْشِئِهَا الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْعَزِيزِ
الْحَكِيمِ، وَبِمِرْآتِيَّةٍ كُلِّ بَقْدَرٍ نَسَبْتَهُ لِأَشِعَّةِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَاءِ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. جَلُّ
جَلَالُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

النقطة التاسعة

الْحَمْدُ - مِنْ اللَّهِ بِاللَّهِ عَلَى اللَّهِ - اللَّهُ بَعْدَ ضَرْبِ ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَى آخِرِ
الْخِلْقَةِ فِي عَاشِرَاتِ دَقَائِقِ الْأَزْمِنَةِ مِنَ الْأَزَلِ إِلَى الْأَبَدِ.
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى "الْحَمْدُ لِلَّهِ" بِدَوْرٍ دَائِرٍ فِي تَسْلُسُلٍ^(١) يَتَسَلْسَلُ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى.
الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ عَلَيَّ وَعَلَى إِخْوَانِي بَعْدَ ضَرْبِ ذَرَاتِ وُجُودِي
فِي عَاشِرَاتِ دَقَائِقِ عُمْرِي فِي الدُّنْيَا، وَبِقَائِي وَبِقَائِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا
بِالْحَقِّ﴾ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بَعْدَ حَسَنَاتِ أُمَّتِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ آمِينَ.
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الدور والتسلسل محالان في دائرة الممكنات. لأنهما يقتضيان عدم التناهي، ودائرة الممكنات متناهية فلا
تسع غير المتناهي. أما الحمد المتعلق بدائرة الوجود فهو غير متناهٍ. فيدخل بالدور والتسلسل في دائرة غير
متناهية فيتمكن فيها وتسعه. (المؤلف).

الباب الثالث

في مراتب
"الله أكبر"

سنذكر سبعاً من ثلاث وثلاثين مرتبة لهذا الباب، حيث قد ذكر قسم مهم من تلك المراتب في المقام الثاني من المكتوب العشرين، وفي نهاية الموقف الثاني من الكلمة الثانية والثلاثين، وفي بداية الموقف الثالث منها. فمن شاء أن يطلع على حقيقة هذه المراتب، فليراجع تلك الرسائل.

المرتبة الأولى

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا وَكَبِّرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (الإسراء: ١١١). لَيْبِكَ وَسَعْدَيْكَ..

جلّ جلاله الله أكبر من كل شيء قُدْرَةً وَعِلْماً، إذ هُوَ الخَالِقُ البارئُ المَصَوِّرُ الَّذِي صَنَعَ الإنسانَ بِقُدْرَتِهِ كالكائناتِ، وَكَتَبَ الكائناتِ بِقَلَمِ قَدْرِهِ كَمَا كَتَبَ الإنسانَ بِذَلِكَ القَلَمِ. إذ ذاك العالَمُ الكبيرُ كهذا العالَمِ الصغيرِ مَصْنُوعٌ قُدْرَتِهِ مَكْتُوبٌ قَدْرِهِ. إبداعُهُ لِذَلِكَ صَيَّرَهُ مَسْجِداً. إيجادُهُ لهذا صَيَّرَهُ ساجِداً. إنشاؤُهُ لِذَلِكَ صَيَّرَ ذاك مُلكاً. بناؤُهُ لهذا صَيَّرَهُ مَمْلُوكاً. صَنَعْتُهُ فِي ذاك تَظَاهَرَتْ كِتَاباً. صَبَغْتُهُ فِي هَذَا تَزَاهَرَتْ خِطَاباً. قُدْرَتُهُ فِي ذاك تُظهِرُ حِشْمَتَهُ. رَحْمَتُهُ فِي هَذَا تَنْظِمُ نِعْمَتَهُ. حِشْمَتُهُ فِي ذاك تَشْهَدُ هُوَ الوَاحِدُ. نِعْمَتُهُ فِي هَذَا تُعَلِنُ هُوَ الأَحَدُ. سَكَنَتْهُ فِي ذاك فِي الكُلِّ والأجزاءِ سُكُوناً حَرَكَه. خاتَمَهُ فِي هَذَا فِي الجِسمِ والأعضاءِ حُجْبِرَةً ذَرَّةً.

فانظُرْ إلى آثارِهِ المُتَسِقَةِ كَيْفَ تَرى كالفَلَقِ سَخاوَةً مُطلَقَةً مَعَ انتِظامِ مُطلَقِ، فِي سُرْعَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ اتِّزانِ مُطلَقِ، فِي سُهولَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ إتقانِ مُطلَقِ، فِي وَسْعَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ حُسْنِ صُنعِ مُطلَقِ، فِي بُعْدَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ اتِّفاقِ مُطلَقِ، فِي خِلْطَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ امْتِيازِ مُطلَقِ، فِي رُحْصَةٍ مُطلَقَةٍ مَعَ غُلُوِّ مُطلَقِ. فهذه الكِيفِيَّةُ المشهُودَةُ شاهِدَةٌ للعاقِلِ المُحَقِّقِ، مُجْبِرَةٌ للأَحْمَقِ المُتَافِقِ عَلى قَبولِ الصَّنَعَةِ وَالوَحْدَةِ لِلحَقِّ ذِي القُدْرَةِ المُطلَقَةِ، وَهُوَ العَلِيمُ المُطلَقُ.

وَفِي الْوَحْدَةِ سُهولةٌ مُطْلَقَةٌ، وَفِي الْكَثْرَةِ وَالشَّرْكََةِ صُعُوبَةٌ مُنْعَلِقَةٌ:
 إِنَّ أُسْنِدَ كُلِّ الْأَشْيَاءِ لِلوَاحِدِ، فَالْكَائِنَاتُ كَالنَّخْلَةِ، وَالنَّخْلَةُ كَالثَّمَرَةِ سُهولةٌ فِي الْإِبْتِدَاعِ.
 وَإِنْ أُسْنِدَ لِلْكَثْرَةِ فَالنَّخْلَةُ كَالْكَائِنَاتِ، وَالثَّمَرَةُ كَالشَّجَرَاتِ صُعُوبَةٌ فِي الْاِمْتِنَاعِ. إِذِ الْوَاحِدُ
 بِالْفِعْلِ الْوَاحِدِ يُحْصِلُ نَتِيجَةً وَوَضْعِيَةً لِلْكَثِيرِ بِلَا كُلْفَةٍ وَلَا مُبَاشَرَةٍ؛ وَلَوْ أُحِيلَتْ تِلْكَ
 الْوَضْعِيَّةُ وَالنَّتِيجَةُ إِلَى الْكَثْرَةِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهَا إِلَّا بِتَكْلُفَاتٍ وَمُبَاشَرَاتٍ وَمُشَاجَرَاتٍ
 كَالْأَمِيرِ مَعَ النَّفَرَاتِ، وَالْبَانِي مَعَ الْحَجَرَاتِ، وَالْأَرْضِ مَعَ السَّيَّارَاتِ، وَالْفَوَازَةَ مَعَ الْقَطْرَاتِ،
 وَتُقَطِّعَةَ الْمَرْكَزِ مَعَ التُّقُطِ فِي الدَّائِرَةِ.

بِسَرِّ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يَقُومُ الْاِنْتِسَابُ مَقَامَ قُدْرَةٍ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ. وَلَا يَضْطَرُّ السَّبَبُ لِحَدَلِ
 مَنَابِعِ قُوَّتِهِ وَيَتَعَاطَمُ الْأَثْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ. وَفِي الشَّرْكََةِ يَضْطَرُّ كُلُّ سَبَبٍ لِحَدَلِ
 مَنَابِعِ قُوَّتِهِ؛ فَيُنْصَاعِرُ الْأَثْرُ بِنِسْبَةِ جُزْمِهِ. وَمِنْ هُنَا غَلَبَتِ التَّمَلُّةُ وَالذُّبَابَةُ عَلَى الْجَبَابِرَةِ،
 وَحَمَلَتِ النَّوَاةُ الصَّغِيرَةَ شَجَرَةَ عَظِيمَةٍ.

وَبِسَرِّ أَنْ فِي إِسْنَادِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْوَاحِدِ لَا يَكُونُ الْإِبْجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ، بَلْ
 يَكُونُ الْإِبْجَادُ عَيْنَ نَقْلِ الْمَوْجُودِ الْعِلْمِيِّ إِلَى الْوُجُودِ الْخَارِجِيِّ، كَنَقْلِ الصُّورَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ
 فِي الْمِرْآةِ إِلَى الصَّحِيفَةِ الْفُوتُوغْرَافِيَّةِ لِتَثْبِيتِ وَجُودِ خَارِجِيِّ لَهَا بِكَمَالِ السُّهُولَةِ، أَوْ إِظْهَارِ
 الْحِطِّ الْمَكْتُوبِ بِمِدَادٍ لَا يُرَى، بِوَسِيطَةِ مَادَّةٍ مُظْهِرَةٍ لِلْكِتَابَةِ الْمَشْتُورَةِ. وَفِي إِسْنَادِ الْأَشْيَاءِ
 إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْكَثْرَةِ يَلْزَمُ الْإِبْجَادُ مِنَ الْعَدَمِ الْمُطْلَقِ، وَهُوَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُحَالًا يَكُونُ أَضْعَبَ
 الْأَشْيَاءِ. فَالسُّهُولَةُ فِي الْوَحْدَةِ وَاصِلَةٌ إِلَى دَرَجَةِ الْوُجُوبِ، وَالصُّعُوبَةُ فِي الْكَثْرَةِ وَاصِلَةٌ
 إِلَى دَرَجَةِ الْاِمْتِنَاعِ. وَبِحِكْمَةٍ أَنْ فِي الْوَحْدَةِ يُمَكِّنُ الْإِبْتِدَاعَ وَإِبْجَادَ "الْأَيْسِ مِنَ اللَّيْسِ" يَعْنِي
 إِبْتِدَاعَ الْمَوْجُودِ مِنَ الْعَدَمِ الصَّرْفِ بِلَا مُدَّةٍ وَلَا مَادَّةٍ، وَإِفْرَاقَ الذَّرَاتِ فِي الْقَالِبِ الْعِلْمِيِّ بِلَا
 كُلْفَةٍ وَلَا خَلْطَةٍ. وَفِي الشَّرْكََةِ وَالْكَثْرَةِ لَا يُمَكِّنُ الْإِبْتِدَاعَ مِنَ الْعَدَمِ بِاتِّفَاقٍ كُلِّ أَهْلِ الْعَقْلِ.
 فَلَا بُدَّ لَوْجُودِ ذِي حَيَاةٍ جَمْعُ ذَرَّاتٍ مُنْتَشِرَةٍ فِي الْأَرْضِ وَالْعَنَاصِرِ؛ وَبِعَدَمِ الْقَالِبِ الْعِلْمِيِّ
 يَلْزَمُ لِمُحَافَظَةِ الذَّرَاتِ فِي جِسْمِ ذِي الْحَيَاةِ وَجُودِ عِلْمِ كُلِّيٍّ، وَإِرَادَةَ مُطْلَقَةٍ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ.
 وَمَعَ ذَلِكَ إِنَّ الشُّرَكَاءَ مُسْتَعْنِيَةً عَنْهَا وَمَمْتَنِعَةٌ بِالذَّاتِ وَتَحْكُمِيَّةٌ مُحَضَّةٌ، لَا أَمَارَةَ عَلَيْهَا وَلَا
 إِشَارَةَ إِلَيْهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ. إِذْ خَلَقَهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تَسْتَلْزِمُ قُدْرَةَ كَامِلَةً
 غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ بِالضَّرُورَةِ. فَاسْتَعْنِي عَنِ الشُّرَكَاءِ؛ وَإِلَّا لَزِمَ تَحْدِيدُ وَانْتِهَاءُ قُدْرَةِ كَامِلَةٍ غَيْرِ

مُتَّاهِيَةً فِي وَقْتِ عَدَمِ التَّنَاهِي بِقُوَّةٍ مُتَّاهِيَةٍ بِلا ضَرُورَةٍ، مَعَ الضَّرُورَةِ فِي عَكْسِهِ؛ وَهُوَ مُحَالٌ فِي حَمْسَةِ أَوْجِهٍ. فَامْتَنَعَتِ الشُّرَكَاءُ، مَعَ أَنَّ الشُّرَكَاءَ الْمُمْتَنِعَةَ بِتِلْكَ الْوُجُوهِ لا إِشَارَةَ إِلَى وُجُودِهَا، وَلا أَمَارَةَ عَلَى تَحَقُّقِهَا فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ.

فقد استفسرنا عن هذه المسألة في "الموقف الأول من الرسالة الثانية والثلاثين" من الذرات إلى السيارات وفي "الموقف الثاني" من السماوات إلى الشخصيات الوجيهة فأعطت جميعها جواب رد الشرك بإراءة سكة التوحيد.

فَكَمَا لا شُرَكَاءَ لَهُ؛ كَذَلِكَ لا مُعِينٌ وَلا وُزَرَاءَ لَهُ. وَمَا الأسبابُ إِلَّا حِجَابٌ رَفِيقٌ عَلَى تَصَرُّفِ القُدْرَةِ الْأَزَلِيَّةِ؛ لَيْسَ لَهَا تَأْثِيرٌ إِيْجَادِيٌّ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. إِذْ أَشْرَفُ الأسبابُ وَأَوْسَعُهَا إِيْخْتِياراً هُوَ الْإِنْسَانُ؛ مَعَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي يَدِهِ مِنْ أَطْهَرِ أَفْعَالِهِ الْإِيْخْتِيارِيَّةِ كَـ"الْأَكْلِ وَالْكَلَامِ وَالْفِكْرِ" مِنْ مِئَاتِ أَجْزَاءٍ إِلَّا جُزْءٌ وَاحِدٌ مَشْكُوكٌ. إِذَا كَانَ السَّبَبُ الْأَشْرَفُ وَالْأَوْسَعُ إِيْخْتِياراً مَغْلُولَ الْأَيْدِي عَنِ التَّصَرُّفِ الْحَقِيقِيِّ كَمَا تَرَى؛ فَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْبَهِيمَاتُ وَالجِمَادَاتُ شَرِيكَةً فِي الْإِيْجَادِ وَالرُّبُوبِيَّةِ لِخَالِقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ. فَكَمَا لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الظُّرْفُ الَّذِي وَضَعَ السُّلْطَانَ فِيهِ الْهَدِيَّةَ، أَوْ الْمَنْدِيلُ الَّذِي لَفَّ فِيهِ الْعَطِيَّةَ، أَوْ النَّفْرُ الَّذِي أَرْسَلَ عَلَى يَدِهِ النِّعْمَةَ إِلَيْكَ، شُرَكَاءَ لِلسُّلْطَانِ فِي سُلْطَنَتِهِ؛ كَذَلِكَ لا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الأسبابُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى أَيْدِيهِمُ التِّعْمُ الْإِيْنا، وَالظُّرُوفُ الَّتِي هِيَ صِنَادِيقُ اللَّتِّعْمِ الْمُدْخَرَةِ لَنَا، وَالأسبابُ الَّتِي التَّمَّتْ عَلَى عَطَايَا إِلَهِيَّةٍ مُهْدَاةٍ إِلَيْنَا، شُرَكَاءَ أَعواناً أَوْ وَسائِلَ مُؤَثَّرَةً.

المرتبة الثانية

جَلَّ جَلالُهُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْماً، إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ الصَّانِعُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الَّذِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ الْأَرْضِيَّةُ وَالْأَجْرَامُ الْعُلُويَّةُ فِي بُسْتَانِ الْكَائِنَاتِ مُعْجِزَاتُ قُدْرَةِ خَلَّاقٍ عَلِيمٍ بِالْبَدَاهَةِ، وَهَذِهِ النَّبَاتَاتُ الْمُتَلَوِّنَةُ الْمُتَزَيِّبَةُ الْمُنْشُورَةُ، وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ الْمُتَنَوِّعَةُ الْمُتَبَرِّجَةُ الْمُنْشُورَةُ فِي حَدِيقَةِ الْأَرْضِ خَوَارِقُ صَنْعَةِ صَانِعِ حَكِيمٍ بِالضَّرُورَةِ، وَهَذِهِ الْأَزْهَارُ الْمُتَبَسِّمَةُ وَالْأَثْمَارُ الْمُتَزَيِّبَةُ فِي جِنَانِ هَذِهِ الْحَدِيقَةِ هَدَايَا رَحْمَةٍ رَحْمَنٍ رَحِيمٍ بِالْمُشَاهَدَةِ. تَشْهَدُ هَاتِيكَ وَتُبَادِي تَاكَ وَتُعْلِنُ هَذِهِ بِأَنَّ خَلَّاقَ هَاتِيكَ وَمُصَوِّرَ تَاكَ وَوَاهِبَ هَذِهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، تَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَتِهِ الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ، وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْمُتَّاهِي

وَعَبَّرَ الْمُتَنَاهِي. وَكُلُّ الْوُفُوعَاتِ الْمَاضِيَةِ وَغَرَائِبِهَا مُعْجَزَاتُ صَنَعَةِ صَانِعِ حَكِيمٍ تَشْهَدُ عَلَى أَنْ ذَلِكَ الصَّانِعُ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ الْإِمْكَانَاتِ الْاسْتِقْبَالِيَّةِ وَعَجَائِبِهَا، إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَالْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ حَدِيقَةَ أَرْضِهِ مَشْهَرًا صَنَعَتِهِ، مَحْشَرًا فِطْرَتِهِ، مَظْهَرَ قُدْرَتِهِ، مَدَارَ حِكْمَتِهِ، مَزْهَرَ رَحْمَتِهِ، مَزْرَعًا جَنَّتِهِ، مَمَرًا الْمَخْلُوقَاتِ، مَسِيلًا الْمَوْجُودَاتِ، مَكِيلًا الْمَصْنُوعَاتِ. فَمُزَيْنُ الْحَيَوَانَاتِ مُنْقَشُ الطَّيُورَاتِ مُثَمَّرُ الشَّجَرَاتِ مُزْهَرُ النَّبَاتَاتِ مُعْجَزَاتُ عِلْمِهِ، خَوَارِقُ صُنْعِهِ، هَدَايَا جُودِهِ، بَرَاهِينُ لُطْفِهِ.

تَبَسُّمُ الْأَزْهَارِ مِنْ زِينَةِ الْأَثْمَارِ، تَسْبُحُ الْأَطْيَارِ فِي نَسَمَةِ الْأَشْحَارِ، تَهْزُجُ الْأَمْطَارِ عَلَى خُدُودِ الْأَزْهَارِ، تَرْحُمُ الْوَالِدَاتِ عَلَى الْأَطْفَالِ الصِّغَارِ.. تَعْرِفُ وَدُودٍ، تُوَدِّدُ رَحْمَنًا، تَرْحَمُ حَنَانًا، تَحْتَنُّ مَنَانًا لِلْجِنِّ وَالْإِنْسَانِ وَالرُّوحِ وَالْحَيَوَانَاتِ وَالْمَلَكِ وَالْجَانِّ.

وَالْبُدُورُ وَالْأَثْمَارُ، وَالْحُبُوبُ وَالْأَزْهَارُ، مُعْجَزَاتُ الْحِكْمَةِ. خَوَارِقُ الصَّنْعَةِ. هَدَايَا الرَّحْمَةِ. بَرَاهِينُ الْوَحْدَةِ. شَوَاهِدُ لُطْفِهِ فِي دَارِ الْآخِرَةِ. شَوَاهِدُ صَادِقَةٌ أَنَّ خَلْقَهَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، قَدْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ بِالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ وَالصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. فَالتَّسْمِسُ كَالْبَنْدَرَةِ، وَالتَّجْمُّ كَالزُّهْرَةِ، وَالأَرْضُ كَالْحَبَّةِ، لَا تَتَقَلُّ عَلَيْهِ بِالْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ، وَالصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. فَالْبُدُورُ وَالْأَثْمَارُ مَرَايَا الْوَحْدَةِ فِي أَقْطَارِ الْكَثْرَةِ، إِشَارَاتُ الْقَدْرِ، رُمُوزَاتُ الْقُدْرَةِ بِأَنَّ تِلْكَ الْكَثْرَةَ مِنْ مَنَبَعِ الْوَحْدَةِ، تَصُدِّرُ شَاهِدَةً لِوَحْدَةِ الْفَاطِرِ فِي الصَّنْعِ وَالتَّصْوِيرِ. ثُمَّ إِلَى الْوَحْدَةِ تَنْتَهِي ذَاكِرَةٌ لِحِكْمَةِ الصَّانِعِ فِي الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ. وَتُلَوِّحَاتُ الْحِكْمَةِ بِأَنَّ خَالِقَ الْكُلِّ بِكُلِّيَّةِ النَّظَرِ إِلَى الْجُزْئِيِّ يَنْظُرُ، ثُمَّ إِلَى جُزْئِهِ. إِذْ إِنْ كَانَ ثَمَرًا فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ مِنْ خَلْقِ هَذَا الشَّجَرِ. فَالْبَشَرُ ثَمَرٌ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَظْهَرُ لِخَالِقِ الْمَوْجُودَاتِ. وَالقَلْبُ كَالنَّوَاةِ، فَهُوَ الْمِرَاةُ الْأَثُورُ لِصَانِعِ الْمَخْلُوقَاتِ. وَمِنْ هَذِهِ الْحِكْمَةِ فَالْإِنْسَانُ الْأَصْغَرُ فِي هَذِهِ الْكَائِنَاتِ هُوَ الْمَدَارُ الْأَظْهَرُ لِلنَّشْرِ وَالمَحْشَرِ فِي هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ، وَالتَّخْرِيبِ وَالتَّبْدِيلِ وَالتَّحْوِيلِ وَالتَّجْدِيدِ لِهَذِهِ الْكَائِنَاتِ.

اللَّهُ أَكْبَرُ يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي الْعُقُولَ لِكُنْهٍ عَظَمَتِهِ.

كِه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَرَابَرُمِي زَنْدُ هَرُ شِيء

دَمَادَمُ جُو يَدَنْدُ: "يَا حَقُّ" سَرَاسَرُ كُوَيْدَنْدُ: "يَا حَيُّ"

المرتبة الثالثة (١)

يضاحها في رأس "الموقف الثالث" من "الرسالة الثانية والثلاثين".
 الله أكبرُ من كلِّ شيءٍ فُدرَةٌ وَعِلْمًا، إذْ هُوَ الْقَدِيرُ الْمَقْدِرُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْمُسَوِّرُ الْكَرِيمُ
 اللَّطِيفُ الْمُزَيِّنُ الْمُنْعِمُ الْوَدُودُ الْمُتَعَرِّفُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْمُتَحَنِّنُ الْجَمِيلُ ذُو الْجَمَالِ
 وَالْكَمَالِ الْمُطْلَقِ النَّقَاشِ الْأَزَلِيِّ الَّذِي مَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ كُلًّا وَأَجْزَاءُ وَصَحَائِفَ
 وَطَبَقَاتٍ، وَمَا حَقَائِقُ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّيًّا وَجُزْئِيًّا وَوُجُودًا وَبَقَاءً: إِلَّا خُطُوطُ قَلَمِ قَضَائِهِ
 وَقَدْرِهِ بِتَنْظِيمٍ وَتَقْدِيرٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ... وَإِلَّا نَفُوشُ بَرَكَارِ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ بِصُنْعٍ وَتَصْوِيرٍ...
 وَإِلَّا تَزْيِينَاتٍ يَدُ بَيْضَاءٍ صُنِعَهُ وَتَصْوِيرِهِ وَتَزْيِينِهِ وَتَنْوِيرِهِ بِلُطْفٍ وَكَرَمٍ... وَإِلَّا أَزَاهِيرَ لَطَائِفِ
 لُطْفِهِ وَكَرَمِهِ وَتَعَرُّفِهِ وَتَوَدُّدِهِ بِرَحْمَةٍ وَنِعْمَةٍ... وَإِلَّا ثَمَرَاتٍ فَيَاضَ عَيْنِ رَحْمَتِهِ وَنِعْمَتِهِ وَتَرْجُمِهِ
 وَتَحَنُّنِهِ بِجَمَالٍ وَكَمَالٍ... وَإِلَّا لَمَعَاتُ جَمَالِ سِرْمَدِيِّ وَكَمَالِ دَيْمُومِي بِشَهَادَةِ تَفَانِيَةِ الْمَرَايَا
 وَسَيَّالِيَةِ الْمَظَاهِرِ، مَعَ دَوَامِ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ عَلَى مَرِّ الْفُضُولِ وَالْعُضُورِ وَالْأَدْوَارِ، وَمَعَ دَوَامِ
 الْإِنْعَامِ عَلَى مَرِّ الْأَنْامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ.

نَعَمْ، تَفَانِيِ الْمِرَاةِ زَوَالِ الْمَوْجُودَاتِ مَعَ التَّجَلِّيِ الدَّائِمِ مَعَ الْفَيْضِ الْمُلَازِمِ مِنْ أَظْهَرِ
 الظُّوَاهِرِ مِنْ أَنْبَهْرِ الْبَوَاهِرِ عَلَى أَنْ الْجَمَالِ الظَّاهِرِ، أَنَّ الْكَمَالِ الزَّاهِرَ لَيْسَا مُلْكُ الْمَظَاهِرِ
 مِنْ أَفْصَحِ تَبْيَانٍ، مِنْ أَوْضَحِ بُرْهَانٍ، لِلْجَمَالِ الْمُجَرَّدِ لِلْإِحْسَانِ الْمُجَدَّدِ لِلْوَاجِبِ الْوُجُودِ
 لِلْبَاقِيِ الْوُدُودِ.

نَعَمْ فَلَأَثَرُ الْمُكْمَلِ يَدُلُّ بِالْبَدَاهَةِ عَلَى الْفِعْلِ الْمُكْمَلِ. ثُمَّ الْفِعْلُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِالضَّرُورَةِ
 عَلَى الْاسْمِ الْمُكْمَلِ وَالْفَاعِلِ الْمُكْمَلِ، ثُمَّ الْاسْمُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِإِلَّا رَيْبٍ عَلَى الْوَصْفِ
 الْمُكْمَلِ، ثُمَّ الْوَصْفُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ بِإِلَّا شَكٍّ عَلَى الشَّانِ الْمُكْمَلِ، ثُمَّ الشَّانُ الْمُكْمَلُ يَدُلُّ
 بِالْيَقِينِ عَلَى كَمَالِ الذَّاتِ بِمَا يَلِيْقُ بِالذَّاتِ وَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ.

المرتبة الرابعة

جَلَّ جَلَالُهُ اللهُ أَكْبَرُ إذْ هُوَ الْعَدْلُ الْعَادِلُ الْحَكْمُ الْحَاكِمُ الْحَكِيمُ الْأَزَلِيُّ الَّذِي أَسَسَ

(١) هذه المرتبة الثالثة تأخذ بعين الاعتبار زهرة جزئية وحسنة جميلة، فالربيع الزاهر كتلك الزهرة والجنة
 العظيمة مثلها؛ إذ هما مظهران من مظاهر تلك المرتبة، كما أن العالم إنسان جميل وعظيم، وكذا الحور
 العين والروحانيات وجنس الحيوان وصنف الإنسان.. كل منها كأنه في هيئة إنسان جميل يعكس بصفحاته
 هذه الأسماء التي تعكسها هذه المرتبة. (المؤلف).

بُيَانِ شَجَرَةِ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ بِأُصُولِ مَشِيئَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَفَصَلْهَا بِدَسَاتِيرِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَنَظَّمَهَا بِقَوَانِينِ عَادَتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَزَيَّنَهَا بِنَوَاميسِ عِنَايَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَنَوَّرَهَا بِجَلَوَاتِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، بِشَهَادَاتِ أَنْظِمَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ وَتَرْيُنَاتِ مَوْجُودَاتِهِ، وَتَشَابُهِهَا وَتَنَاسُيْهَا وَتَجَاوُزِهَا وَتَعَاوُنِهَا وَتَعَانِقِهَا، وَإِتْقَانِ الصَّنْعَةِ الشُّعُورِيَّةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَلَى مِقْدَارِ قَامَةِ قَابِلِيَّتِهِ الْمُقَدَّرَةِ بِتَقْدِيرِ الْقَدْرِ.

فَالْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ فِي تَنْظِيمَاتِهَا.. وَالْعِنَايَةُ التَّامَّةُ فِي تَرْيُنَاتِهَا.. وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِي تَلْطِيفَاتِهَا.. وَالْأَرْزَاقُ وَالْإِعَاشَةُ الشَّامِلَةُ فِي تَرْيِبَتِهَا.. وَالْحَيَاةُ الْعَجِيْبَةُ الصَّنْعَةُ بِمَظْهَرِيَّتِهَا لِلشُّوْنِ الدَّائِيَّةِ لِفَاطِرِهَا.. وَالْمَحَاسِنُ الْقَصْدِيَّةُ فِي تَحْسِينَاتِهَا.. وَدَوَامُ تَجَلِّيِ الْجَمَالِ الْمُتَعَكِّسِ مَعَ زَوَالِهَا.. وَالْعِشْقُ الصَّادِقُ فِي قَلْبِهَا لِمَعْبُودِهَا.. وَالْإِنْجِدَابُ الظَّاهِرُ فِي جَذْبَتِهَا.. وَاتِّفَاقُ كُلِّ كَمَلِهَا عَلَى وَحْدَةِ فَاطِرِهَا.. وَالتَّصَرُّفُ لِمَصَالِحِ فِي أَجْزَائِهَا.. وَالتَّدْبِيرُ الْحَكِيمُ لِنَبَاتَاتِهَا.. وَالتَّرْبِيَةُ الْكَرِيمَةُ لِحَيَوَانَاتِهَا.. وَالْإِنْتِظَامُ الْمُكْمَلُ فِي تَعْبِيرَاتِ أَرْكَانِهَا.. وَالغَايَاتُ الْجَسِيمَةُ فِي انْتِظَامِ كُلِّيَّتِهَا.. وَالْحُدُوثُ دَفْعَةٌ مَعَ غَايَةِ كَمَالِ حُسْنِ صَنْعَتِهَا بِإِلَاحْتِيَاجِ إِلَى مُدَّةٍ وَمَادَّةٍ.. وَالتَّشَخُّصَاتُ الْحَكِيمَةُ مَعَ عَدَمِ تَحْدِيدِ تَرَدُّدِ إِمْكَانَاتِهَا.. وَقَضَاءُ حَاجَاتِهَا عَلَى غَايَةِ كَثْرَتِهَا وَتَنَوُّعِهَا فِي أَوْقَاتِهَا اللَّائِقَةِ الْمُنَاسِبَةِ، مِنْ حَيْثُ لَا يُحْتَسَبُ وَمِنْ حَيْثُ لَا يُشْعَرُ مَعَ قَصْرِ أَيْدِيهَا عَنْ أَصْغَرِ مَطَالِبِهَا.. وَالْقُوَّةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَعْدِنِ ضَعْفِهَا.. وَالقُدْرَةُ الْمُطْلَقَةُ فِي مَتَبَعِ عَجْزِهَا.. وَالْحَيَاةُ الظَّاهِرَةُ فِي جُمُودِهَا.. وَالشُّعُورُ الْمُحِيطُ فِي جَهْلِهَا.. وَالْإِنْتِظَامُ الْمُكْمَلُ فِي تَغْيِيرَاتِهَا الْمُسْتَلَزِمِ لَوْجُودِ الْمُغْيِرِ الْغَيْرِ الْمُتَغَيِّرِ.. وَالْإِتْفَاقُ فِي تَسْيِيحَاتِهَا كَالدَوَائِرِ الْمُتَدَاخِلَةِ الْمُتَّحِدَةِ الْمَرْكَزِ.. وَالْمَقْبُولِيَّةُ فِي دَعْوَاتِهَا الثَّلَاثِ "بِلِسَانِ اسْتِعْدَادِهَا، وَبِلِسَانِ احْتِيَاجَاتِهَا الْفِطْرِيَّةِ، وَبِلِسَانِ اضْطِرَارِهَا".. وَالْمُنَاجَاةُ وَالشُّهُودَاتُ وَالْمُبُوضَاتُ فِي عِبَادَاتِهَا.. وَالْإِنْتِظَامُ فِي قَدْرِيَّتِهَا.. وَالْإِطْمِئْنَانُ بِذِكْرِ فَاطِرِهَا.. وَكَوْنُ الْعِبَادَةِ فِيهَا خَيْطُ الْوُصْلَةِ بَيْنَ مُنْتَهَاهَا وَمَبْدِئِهَا.. وَسَبَبُ ظُهُورِ كَمَالِهَا وَالتَّحَقُّقِ مَقَاصِدِ صَانِعِهَا.. وَهَكَذَا، بِسَائِرِ شُؤْنَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا وَكَيْفِيَّاتِهَا شَاهِدَاتُ بِأَنَّهَا كُلُّهَا بِتَدْبِيرِ مُدَبِّرِ حَكِيمِ وَاحِدٍ.. وَفِي تَرْبِيَةِ مُرَبِّ كَرِيمٍ أَحَدٍ صَمَدٍ.. وَكُلُّهَا خُدَّامُ سَيِّدٍ وَاحِدٍ.. وَتَحْتَ تَصَرُّفِ مُتَصَرِّفٍ وَاحِدٍ.. وَمَصْدَرُهَا قُدْرَةٌ وَاحِدٍ الَّذِي تَظَاهَرَتْ وَتَكَاثَرَتْ خَوَاتِيمُ وَحْدَتِهِ عَلَى كُلِّ مَكْتُوبٍ مِنْ مَكْتُوبَاتِهِ فِي كُلِّ صَفْحَةٍ مِنْ صَفْحَاتِ مَوْجُودَاتِهِ.

نَعَم، فَكُلُّ زَهْرَةٍ وَثَمَرٍ، وَكُلُّ نَبَاتٍ وَشَجَرٍ، بَلْ كُلُّ حَيَوَانٍ وَحَجَرٍ، بَلْ كُلُّ ذَرٍّ وَمَدْرٍ، فِي كُلِّ وَادٍ وَجَبَلٍ، وَكُلِّ بَادٍ وَقَفْرٍ خَاتَمَ بَيْنِ النَّفْسِ وَالْأَثَرِ، يُظْهِرُ لِدَقَّةِ النَّظْرِ أَنَّ ذَاكَ الْأَثَرُ هُوَ كَاتِبُ ذَاكَ الْمَكَانِ بِالْعَبْرِ؛ فَهُوَ كَاتِبُ ظَهْرِ الْبَرِّ وَبَطْنِ الْبَحْرِ؛ فَهُوَ نَقَّاشُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ فِي صَحِيفَةِ السَّمَاوَاتِ ذَاتِ الْعَبْرِ. جَلَّ جَلَالُ نَقَّاشِهَا اللَّهُ أَكْبَرُ.

كِه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. بَرَابَرٌ مِي زَنْدِ عَالَمِ

المرتبة الخامسة (١)

اللَّهُ أَكْبَرُ إِذْ هُوَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ الْمُصَوِّرُ الْبَصِيرُ الَّذِي هَذِهِ الْأَجْرَامُ الْعُلُويَّةُ وَالْكَوَاكِبُ الدَّرِيَّةُ نِيْرَاتُ بَرَاهِينِ أُلُوْهِتِهِ وَعَظْمَتِهِ، وَشُعَاعَاتُ شَوَاهِدِ رُبُوْبِيَّتِهِ وَعِزَّتِهِ؛ تَشْهَدُ وَتُنَادِي عَلَى شَعْشَعَةِ سُلْطَنَةِ رُبُوْبِيَّتِهِ وَتُنَادِي عَلَى وَسْعَةِ حُكْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَعَلَى حِشْمَةِ عَظْمَةِ قُدْرَتِهِ. فَاسْتَمِعْ إِلَى آيَةِ: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا...﴾ (ق:٦).

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى وَجْهِ السَّمَاءِ كَيْفَ تَرَى سُكُوتًا فِي سُكُونَةٍ، حَرَكَةً فِي حِكْمَةٍ، تَأَلُّوًّا فِي حِشْمَةٍ، تَبَسُّمًا فِي زِينَةٍ مَعَ انْتِظَامِ الْخِلْقَةِ مَعَ اتِّزَانِ الصَّنْعَةِ.

تَشْعُشُعُ سِرَاجِهَا لِتَبْدِيلِ الْمَوَاسِمِ، تَهْلُهْلُهْلُ مِضْبَاحِهَا لِتَنْوِيرِ الْمَعَالِمِ، تَأَلُّوُّ نُجُومِهَا لِتَزْيِينِ الْعَوَالِمِ. تُعْلِنُ لِأَهْلِ النُّهْيِ سُلْطَنَةَ بِلَا انْتِهَاءٍ لِتَدْبِيرِ هَذَا الْعَالَمِ.

فَذَلِكَ الْخَلَّاقُ الْقَدِيرُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ بِإِرَادَةٍ شَامِلَةٍ مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ. وَهُوَ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ مُحِيطَةٍ ذَاتِيَّةٍ. وَكَمَا لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ هَذِهِ الشَّمْسِ فِي هَذَا الْيَوْمِ بِإِلَّا ضِيَاءٍ وَلَا حَرَارَةٍ؛ كَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ وَلَا يُتَصَوَّرُ وُجُودُ إِلَهٍ خَالِقٍ لِلْسَّمَاوَاتِ بِإِلَّا عِلْمٍ مُحِيطٍ، وَبِلَا قُدْرَةٍ مُطْلَقَةٍ. فَهُوَ بِالضَّرُورَةِ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بِعِلْمٍ مُحِيطٍ لِأَزْمِ ذَاتِي اللَّذَاتِ، يَلْزَمُ تَعَلُّقَ ذَلِكَ الْعِلْمِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْفَكَ عَنْهُ شَيْءٌ بِسِرِّ الْحُضُورِ وَالشُّهُودِ وَالنُّفُودِ وَالْإِحَاطَةِ التُّورَانِيَّةِ.

فَمَا يُشَاهَدُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْإِنْتِظَامَاتِ الْمَوْزُونَةِ، وَالْإِتْرَانَاتِ الْمَنْظُومَةِ، وَالْحِكْمِ الْعَامَّةِ، وَالْعِنَايَاتِ الثَّامَّةِ، وَالْأَقْدَارِ الْمُنتَظِمَةِ، وَالْأَقْصِيَّةِ الْمُثْمِرَةِ، وَالْأَجَالِ الْمُعَيَّنَةِ، وَالْأَرْزَاقِ الْمُقَنَّنَةِ، وَالْإِنْتِقَانَاتِ الْمُفَنَّنَةِ، وَالْإِهْتِمَامَاتِ الْمُزَيَّنَةِ، وَغَايَةِ كَمَالِ الْإِمْتِيَازِ وَالْإِتْرَانِ

(١) لقد وضحت هذه المرتبة في ذيل الموقف الأول من "الكلمة الثانية والثلاثين"، وفي المقام الثاني من "المكتوب العشرين". (المؤلف).

وَالْإِنْتِظَامَ وَالْإِتْقَانَ، وَالشُّهُولَةَ الْمُطْلَقَةَ شَاهِدَاتٌ عَلَى إِحَاطَةِ عِلْمِ عِلَامِ الْغُيُوبِ بِكُلِّ شَيْءٍ.
وَأَنَّ آيَةَ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك: ١٤) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْوُجُودَ فِي

الشَّيْءِ يَسْتَلْزِمُ الْعِلْمَ بِهِ. وَنُورَ الْوُجُودِ فِي الْأَشْيَاءِ يَسْتَلْزِمُ نُورَ الْعِلْمِ فِيهَا.

فَنِسْبَةُ دَلَالَةِ حُسْنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى شُعُورِهِ، إِلَى نِسْبَةِ دَلَالَةِ خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى عِلْمِ خَالِقِهِ، كَنِسْبَةِ لُمَيْعَةِ نُجَيْمَةِ الذُّبَيْبَةِ فِي اللَّيْلَةِ الدَّهْمَاءِ إِلَى شَعْسَعَةِ الشَّمْسِ فِي نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى وَجْهِ الْعَبْرَاءِ.

وَكَمَا أَنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ فَهُوَ مُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ شَيْءٌ بِدُونِ مَشِيئَتِهِ. وَكَمَا أَنَّ الْقُدْرَةَ تُؤَثِّرُ، وَأَنَّ الْعِلْمَ يَمَيِّرُ؛ كَذَلِكَ إِنَّ الْإِرَادَةَ تُخَصِّصُ، ثُمَّ يَتَحَقَّقُ وُجُودُ الْأَشْيَاءِ.

فَالشُّوَاهِدُ عَلَى وُجُودِ إِرَادَتِهِ تَعَالَى وَاخْتِيَارِهِ سُبْحَانَهُ بِعَدَدِ كَيْفِيَّاتِ الْأَشْيَاءِ وَأَحْوَالِهَا وَشُؤُونَاتِهَا.

نَعَمْ، فَتَنْظِيمُ الْمَوْجُودَاتِ وَتَخْصِيصُهَا بِصِفَاتِهَا مِنْ بَيْنِ الْإِمْكَانَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الطَّرِيقِ الْعَقِيمَةِ، وَمِنْ بَيْنِ الْإِحْتِمَالَاتِ الْمُسَوِّشَةِ، وَتَحْتَ أَيْدِي الشُّيُولِ الْمُتَشَاكِسَةِ، بِهَذَا النِّظَامِ الْأَدَقِّ الْأَرْقِ، وَتَوْزِينِهَا بِهَذَا الْمِيزَانِ الْحَسَّاسِ الْجَسَّاسِ الْمَشْهُودِينَ؛ وَأَنَّ خَلْقَ الْمَوْجُودَاتِ الْمُخْتَلِفَاتِ الْمُنتَظِمَاتِ الْحَيَوِيَّةِ مِنَ الْبَسَائِطِ الْجَامِدَةِ - كَالْإِنْسَانِ بِجِهَازَاتِهِ مِنَ النَّطْفَةِ، وَالطَّيْرِ بِجَوَارِحِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ، وَالشَّجَرِ بِأَعْضَائِهِ الْمُتَنَوِّعَةِ مِنَ النَّوَاءِ - تَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَخْصِيصَ كُلِّ شَيْءٍ وَتَعْيِينَهُ بِإِرَادَتِهِ وَاخْتِيَارِهِ وَمَشِيئَتِهِ سُبْحَانَهُ. فَكَمَا أَنَّ تَوَافُقَ الْأَشْيَاءِ مِنْ جِنْسٍ، وَالْأَفْرَادِ مِنْ نَوْعٍ فِي آسَاسَاتِ الْأَعْضَاءِ، يُدَلُّ بِالضَّرُورَةِ عَلَى أَنَّ صَانِعَهَا وَاحِدٌ أَحَدٌ؛ كَذَلِكَ إِنَّ تَمَايُزَهَا فِي التَّشْخِصَاتِ الْحَكِيمَةِ الْمُشْتَمَلَةِ عَلَى عِلَامَاتٍ فَارِقَةٍ مُنْتَظِمَةٍ، تَدُلُّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الصَّانِعَ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ هُوَ فَاعِلٌ مُخْتَارٌ مُرِيدٌ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ جَلَّ جَلَالُهُ.

وَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ الْخَلَّاقَ الْعَلِيمَ الْمُرِيدَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَمُرِيدٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَهُ عِلْمٌ مُحِيطٌ، وَإِرَادَةٌ شَامِلَةٌ، وَاخْتِيَارٌ تَامٌ؛ كَذَلِكَ لَهُ قُدْرَةٌ كَامِلَةٌ ضَّرُورِيَّةٌ دَائِمَةٌ نَاشِئَةٌ مِنَ الدَّاتِ وَالْإِرَادَةِ لِلذَّاتِ. فَمُحَالٌ تَدَاخُلُ صِدْهَا. وَإِلَّا لَزِمَ جَمْعُ الصِّدِّينِ الْمُحَالُ بِالِاتِّفَاقِ.

فَلَا مَرَاتِبَ فِي تِلْكَ الْقُدْرَةِ. فَتَسَاوَى بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا الذَّرَّاتُ وَالنُّجُومُ، وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالْجُزْئِيُّ وَالْكَلْبِيُّ، وَالْجُزْءُ وَالْكَلُّ، وَالْإِنْسَانُ وَالْعَالَمُ، وَالنَّوَاءُ وَالشَّجَرُ:

بِسْرِ الثَّورَانِيَّةِ وَالشَّفَافِيَّةِ وَالْمُقَابَلَةِ وَالْمُؤَاوَنَةِ وَالْإِنْتِظَامِ وَالْإِمْتِثَالِ... بِشَهَادَةِ الْإِنْتِظَامِ الْمَطْلُوقِ وَالْإِتْرَانِ الْمَطْلُوقِ وَالْإِمْتِيَازِ الْمَطْلُوقِ فِي الشَّرْعَةِ وَالشَّهْوَلَةِ وَالكَثْرَةِ الْمَطْلُوقَاتِ... بِسْرِ إِمْدَادِ الْوَاحِدِيَّةِ وَيُسْرِ الْوَاحِدَةِ وَتَجْلِي الْأَحْدِيَّةِ... بِحِكْمَةِ الْوُجُوبِ وَالتَّجَرُّدِ وَمُبَايَنَةِ الْمَاهِيَّةِ... بِسْرِ عَدَمِ التَّقْيِيدِ وَعَدَمِ التَّحْزِيرِ وَعَدَمِ التَّجَزُّؤِ... بِحِكْمَةِ انْقِلَابِ الْعَوَاقِقِ وَالْمَوَانِعِ إِلَى الْوَسَائِلِ فِي التَّسْهِيلِ إِنْ اِحْتِيَجَ إِلَيْهِ. وَالْحَالُ أَنَّهُ لَا اِحْتِيَاجَ، كَأَعْصَابِ الْإِنْسَانِ، وَالْحُطُوطِ الْحَدِيدِيَّةِ لِنَقْلِ السِّيَالِ اللَّطِيفَةِ... بِحِكْمَةِ أَنَّ الذَّرَّةَ وَالْجُزْءَ وَالْجُزْئِيَّ وَالْقَلِيلَ وَالصَّغِيرَ وَالْإِنْسَانَ وَالنَّوَاءَ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزَالَةً مِنَ النَّجْمِ وَالنُّوعِ وَالْكَلِّ وَالْكَلِّيِّ وَالْكَثِيرِ وَالْكَبِيرِ وَالْعَالَمِ وَالشَّجَرِ.

فَمَنْ خَلَقَ هَؤُلَاءِ لَا يُشْتَبَعُ مِنْهُ خَلْقُ هَذِهِ. إِذِ الْمُحَاطَاتُ كَالْأَمْثَلَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْمُصَغَّرَةِ، أَوْ كَالنَّقْطِ الْمَحْلُوبَةِ الْمُعْصَرَةِ. فَلَا بُدَّ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يَكُونَ الْمُحِيطُ فِي قَبْضَةِ تَصَرُّفِ خَالِقِ الْمُحَاطِ، لِيُدرِجَ مِثَالَ الْمُحِيطِ فِي الْمُحَاطَاتِ بِدَسَاتِيرِ عِلْمِهِ، وَأَنْ يَعْصِرَهَا مِنْهُ بِمَوَازِينِ حِكْمَتِهِ. فَالْقُدْرَةُ الَّتِي أْبْرَزْتَ هَاتِيكَ الْجُزْئِيَّاتِ لَا يَتَعَسَّرُ عَلَيْهَا إِبْرَازُ تَاكَ الْكَلِّيَّاتِ.

فَكَمَا أَنَّ نُسْخَةَ قُرْآنِ الْحِكْمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ بِذَرَاتِ الْأَثِيرِ لَيْسَتْ بِأَقْلَ جَزَالَةً مِنْ نُسْخَةِ قُرْآنِ الْعِظْمَةِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَى صَحَائِفِ السَّمَاءِ بِإِمْدَادِ التُّجُومِ وَالشُّمُوسِ؛ كَذَلِكَ لَيْسَتْ خِلْقَةُ نَحْلَةٍ وَنَمْلَةٍ بِأَقْلَ جَزَالَةً مِنْ خِلْقَةِ النَّخْلَةِ وَالْفِيلِ، وَلَا صَنْعَةُ وَرْدِ الزُّهْرَةِ بِأَقْلَ جَزَالَةً مِنْ صَنْعَةِ دُرِّيِّ نَجْمِ الزُّهْرَةِ. وَهَكَذَا فَتَسِ.

فَكَمَا أَنَّ غَايَةَ كِمَالِ الشَّهْوَلَةِ فِي إِيجَادِ الْأَشْيَاءِ أَوْقَعَتْ أَهْلَ الضَّلَالَةِ فِي التَّبَاسِ التَّشْكِيلِ بِالتَّشْكِالِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلْمَحَالِّاتِ الْحُرَافِيَّةِ الَّتِي تَمُجِّهَا الْعُقُولُ، بَلْ تَتَنَفَّرُ عَنْهَا الْأَوْهَامُ؛ كَذَلِكَ أُثْبِتَتْ بِالْقَطْعِ وَالضَّرُورَةِ لِأَهْلِ الْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ تَسَاوِي السِّيَّارَاتِ مَعَ الذَّرَّاتِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى قُدْرَةِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ... جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ شَأْنُهُ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

المرتبة السادسة (١)

جَلَّ جَلَالُهُ وَعَظَّمَ شَأْنُهُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا، إِذْ هُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ الْقَادِرُ الْعَلِيمُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ السُّلْطَانُ الْأَرْلِيُّ الَّذِي هَذِهِ الْعَوَالِمُ كُلُّهَا فِي تَصَرُّفِ قَبْضَتِي نِظَامِهِ

(١) لو كتبت هذه المرتبة السادسة كسائر المراتب لطالت جداً، لأن "الإمام المبين" و"الكتاب المبين" لا يمكن بيانهما باختصار، وحيث إننا ذكرنا نبذة منهما في "الكلمة الثلاثين" فقد أجملنا هنا، إلا أننا أسردنا بعض الإيضاحات أثناء الدرس. (المؤلف).

وَمِيزَانِهِ وَتَنْظِيمِهِ وَتَوْزِينِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَمَظْهَرُ سِرِّ وَاحِدِيَّتِهِ وَأَحَدِيَّتِهِ بِالْحَدْسِ الشُّهُودِيِّ بَلْ بِالمُشَاهَدَةِ. إِذْ لَا خَارِجَ فِي الكَوْنِ مِنْ دَائِرَةِ النِّظَامِ وَالمِيزَانِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ؛ وَهُمَا بَابَانِ مِنَ "الإمام المبین" و"الکتاب المبین". وَهُمَا عُنوانانِ لِعِلْمِ العَلِيمِ الحَكِيمِ وَأَمْرِهِ وَقُدْرَةِ العَزِيزِ الرَّحِيمِ وَإِرَادَتِهِ. فَذَلِكَ النِّظَامُ مَعَ ذَلِكَ المِيزَانِ، فِي ذَلِكَ الكِتَابِ مَعَ ذَلِكَ الإمام بُرْهَانانِ تَبْرانِ لَمَنْ لَهُ فِي رَأْسِهِ إِذْعَانٌ، وَفِي وَجْهِهِ العِینَانِ، أَنْ لَا شَيْءَ مِنَ الأَشْیاءِ فِي الكَوْنِ وَ الزَّمَانِ یُخْرُجُ مِنْ قَبْضَةِ تَصَرُّفِ رَحْمَنِ، وَتَنْظِيمِ حَنَّانِ، وَتَرْبِيبِ مَنَّانِ، وَتَوْزِينِ دَيَّانِ.

الحَاصِلُ: أَنَّ تَجَلِّيَ الإِسْمِ "الأوَّلِ وَالأخِرِ" فِي الخَلَاقِيَّةِ، النَّاطِرِينَ إِلَى المَبْدَأِ وَالمُنْتَهَى وَالأَصْلِ وَالنَّسْلِ وَالمَاضِي وَالمُسْتَقْبَلِ وَالأَمْرِ وَالعِلْمِ، مُشِيرَانِ إِلَى "الإمام المبین". وَتَجَلِّيَ الإِسْمِ "الظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ" عَلَى الأَشْیاءِ فِي ضَمَنِ الخَلَاقِيَّةِ يُشِيرَانِ إِلَى "الکتاب المبین".

فَالکائِناتُ كَشَجَرَةٍ عَظِيمَةٍ، وَكُلُّ عَالَمٍ مِنْهَا أَيْضاً كَالشَّجَرَةِ. فَنُمُثِّلُ شَجَرَةَ جُزْئِيَّةً لِخَلْقَةِ الكائِناتِ وَأَنْواعِها وَعَوالمِها. وَهَذِهِ الشَّجَرَةُ الجُزْئِيَّةُ لَهَا أَصْلٌ وَمَبْدَأٌ وَهُوَ النِّوَاءُ الَّتِي تَنْبُثُ عَلِيَّهَا، وَكَذا لَهَا نَسْلٌ يُدِيمُ وَطِيفَتُها بَعْدَ مَوْتِها وَهُوَ النِّوَاءُ فِي ثَمَرَاتِها.

فَالمَبْدَأُ وَالمُنْتَهَى مَظْهَرانِ لِتَجَلِّيِ الإِسْمِ "الأوَّلِ وَالأخِرِ". فَكَأَنَّ المَبْدَأَ وَالنِّوَاءَ الأَصْلِيَّةَ بِالانْتِظَامِ وَالحِكْمَةِ، فَهَرَسَتُهُ وَتَعَرَّفَةُ مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ دَسائِرِ تَشْكِْلِ الشَّجَرَةِ. وَالنِّوَاتاتُ فِي ثَمَرَاتِها الَّتِي فِي نِهايَتِها مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الإِسْمِ الأَخِرِ.

فَتِلْكَ النِّوَاتاتُ فِي الثَّمَراتِ بِكَمالِ الحِكْمَةِ، كَأَنَّها صُنيدِقاتُ صَغِيرَةٍ أودَعَتْ فِيها فَهَرَسَتُهُ وَتَعَرَّفَةُ لِتَشْكِْلِ ما يُشابهُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ. وَكَأَنَّها كُتِبَ فِيها بِقَلَمِ القَدْرِ دَسائِرُ تَشْكِْلِ شَجَراتِ آتِيَةِ.

وَظاهِرُ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الإِسْمِ "الظَّاهِرِ". فَظاهِرُها بِكَمالِ الانْتِظَامِ وَالتَّزْيِينِ وَالحِكْمَةِ، كَأَنَّها حُلَّةٌ مُنْتَظِمَةٌ مُزَيَّنَةٌ مُرْصَعَةٌ قَدْ قُدَّتْ عَلَى مِقْدارِ قَامَتِها بِكَمالِ الحِكْمَةِ وَالعِنايَةِ.

وَباطِنُ تِلْكَ الشَّجَرَةِ مَظْهَرٌ لِتَجَلِّيِ الإِسْمِ "البَاطِنِ". فَبِكَمالِ الانْتِظَامِ وَالتَّنْظِيمِ وَالتَّوْزِينِ وَالمُحَيَّرِ لِلعُقُولِ، وَتَوْزيعِ مَوادِّ الحِياةِ إِلَى الأَعْضاءِ المُخْتَلِفَةِ بِكَمالِ الانْتِظَامِ، كَأَنَّ باطِنَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ما كَيْنَةُ حارِقَةٌ فِي غايَةِ الانْتِظَامِ وَالأَتْرانِ.

فَكَمَا أَنْ أَوْلَاهَا تَعْرِفَةٌ عَجِيبَةٌ، وَآخِرُهَا فَهْرِسَتُهُ خَارِقَةٌ تُشِيرَانِ إِلَى "الإمام المُبين"؛ كَذَلِكَ إِنَّ ظَاهِرَهَا كَحُلَّةٍ عَجِيبَةٍ الصَّنْعَةِ، وَبَاطِنُهَا كَمَا كَيْتُهُ فِي غَايَةِ الإِنْتِظَامِ، تُشِيرَانِ إِلَى "الكِتَابِ المُبين".

فَكَمَا أَنَّ القُوَّاتِ الحَافِظَاتِ فِي الإِنْسَانِ تُشِيرُ إِلَى "اللُّوحِ المَحْفُوظِ" وَتَدُلُّ عَلَيْهِ؛ كَذَلِكَ إِنَّ التَّوَاتُاتِ الأَصْلِيَّةَ وَالثَّمَرَاتِ تُشِيرَانِ فِي كُلِّ شَجَرَةٍ إِلَى "الإمام المُبين". وَالظَّاهِرُ وَالبَاطِنُ يَرْمِزَانِ إِلَى "الكِتَابِ المُبين". فَقَسَّ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ الجُرْتِيَّةِ شَجَرَةَ الأَرْضِ بِمَاضِيهَا وَمُسْتَقْبَلِهَا، وَشَجَرَةَ الكَائِنَاتِ بِأَوَائِلِهَا وَآيَتِهَا، وَشَجَرَةَ الإِنْسَانِ بِأَجْدَادِهَا وَأَنْسَالِهَا. وَهَكَذَا... جَلَّ جَلَالُ خَالِقِهَا وَلَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

يَا كَبِيرُ أَنْتَ الَّذِي لَا تَهْدِي العُقُولَ لِوَصْفِ عَظَمَتِهِ وَلَا تَصِلُ الأَفْكَارُ إِلَى كُنْهِ جَبْرُوتِهِ.

المرتبة السابعة

جَلَّ جَلَالُهُ اللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا. إِذْ هُوَ^(١) الخَلاقُ الفَتَّاحُ الفَعَّالُ العَلامُ الوَهَّابُ الفَيَّاضُ شَمْسُ الأَزَلِ الَّذِي هَذِهِ الكَائِنَاتُ بِأَنْوَاعِهَا وَمَوْجُودَاتِهَا ظِلَالُ أَنْوَارِهِ، وَأَثَارُ أفعالِهِ، وَأَلْوَانُ نُقُوشِ أَنْوَاعِ تَجَلِّيَاتِ أَسْمَائِهِ، وَخُطُوطُ قَلَمِ قَضَائِهِ وَقَدْرِهِ، وَمَرَايَا تَجَلِّيَاتِ صِفَاتِهِ وَجَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ..

بِإِجمَاعِ الشَّاهِدِ الأَزَلِيِّ بِجَمِيعِ كُتُبِهِ وَصُحُفِهِ وَأَيَاتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالقُرْآنِيَّةِ... وَبِإِجمَاعِ الأَرْضِ مَعَ العَالَمِ بِإِفْتِقَارَاتِهَا وَاحْتِيَاجَاتِهَا فِي ذَاتِهَا وَدَرَائِجِهَا مَعَ تَظَاهِرِ العَنَاءِ المُطَلَقِ وَالثَّرْوَةِ المُطَلَّقةِ عَلَيْهَا... وَبِإِجمَاعِ كُلِّ أَهْلِ الشُّهُودِ مِنْ ذَوِي الأرواحِ النَّبِيَّةِ وَالقُلُوبِ المُنُورَةِ وَالعُقُولِ الثُّورَانِيَّةِ مِنَ الأنبياءِ والأولياءِ والأصفياءِ بِجَمِيعِ تَحْقِيقَاتِهِمْ وَكُشُوفَاتِهِمْ وَفِيوضَاتِهِمْ وَمُنَاجَاتِهِمْ..

قَدْ اتَّفَقَ الكُلُّ مِنْهُمْ، وَمِنَ الأَرْضِ وَالأَجْرَامِ العُلُوبِيَّةِ وَالسُّفْلِيَّةِ بِمَا لَا يُحَدُّ مِنْ شَهَادَاتِهِمْ القَطْعِيَّةِ وَتَصَدِيقَاتِهِمْ اليَقِينِيَّةِ بِقَبُولِ شَهَادَاتِ الآيَاتِ التَّكْوِينِيَّةِ وَالقُرْآنِيَّةِ وَشَهَادَاتِ الصُّحُفِ وَالكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي هِيَ شَهَادَةُ الوَاجِبِ الوُجُودِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ المَوْجُودَاتِ آثَارُ قُدْرَتِهِ وَمَكْتُوبَاتُ قَدْرِهِ وَمَرَايَا أَسْمَائِهِ وَتَمَثَّلَاتُ أَنْوَارِهِ... جَلَّ جَلَالُهُ وَلَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ.

(١) يمكن الانتقال إلى المسمى ذي الجلال والإكرام إذا ما نظر بمنظار هذه الأسماء المباركة إلى مظاهر الأفعال والآثار الإلهية وراء هذه الموجودات. (المؤلف).

الباب الرابع

فصلان

الفصل الأول

هذا الفصل يشير إلى ثلاثٍ وستين مرتبةً من مراتب معرفة الله وتوحيده سبحانه متخذاً ورداً مهماً ومشهوراً لسيدنا الخضر عليه السلام كمبدأ وأساس لهذا الورد. علماً أن كل مرتبة من المراتب الثلاث والستين عبارة عن جملتين.

فكلمة "لا إله إلا الله" تثبت الوحدانية، كما أن الأسماء التي تبدأ بـ"هو" تثبت وجود واجب الوجود. فعندما تشير الجملة الأولى إلى الوحدانية، يخطر بالبال سؤال مقدر، كأن يقال: ومن هو الواحد؟ وكيف نعرفه؟ فيكون جوابه: هو الرحمن الرحيم.. مثلاً. أي أن آثار الشفقة والرحمة التي تملأ الكون كله تعرّف ذلك الرحمن وتدل عليه. وهكذا قس الباقي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَقْدِمُ إِلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ نِعْمَةٍ وَرَحْمَةٍ وَحِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ حَيَاةٍ وَمَمَاتٍ وَحَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ زَهْرَةٍ وَثَمَرَةٍ وَحَبَّةٍ وَبَذْرَةٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ صَنْعَةٍ وَصِبْغَةٍ وَنِظَامٍ وَمِيزَانٍ، وَبَيْنَ يَدَيَّ كُلِّ تَنْظِيمٍ وَتَوْزِينٍ وَتَمْيِيزٍ فِي كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ وَذَرَاتِهَا، شَهَادَةً نَشْهَدُ^(١) أَنْ:

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْبَاقِي الدَّيْمُومُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

(١) في هذه الشهادات حكمان: أحدهما يدل على الوحدانية، وهو قوله: "لا إله إلا الله" والآخر، يثبت وجود ذلك الواحد، وهو الأسماء التي تبدأ بـ"هو". فكلما ورد ضمير "هو" فهو جواب لسؤال مقدر. وكأنه يقال: كيف نعرف ذلك الإله الواحد؟ فيجيبه مثلاً بقول: "هو السميع البصير" فيقول في هذا: إن هناك مَنْ يرى ويسمع حاجات هذه الموجودات وادعيتها فيخلق ما تطلبه ويفعل ما تريده. وهكذا مثل هذه الآثار، تثبت الأفعال الإلهية، وتلك الأفعال تثبت أسماء كالسميع والبصير، وتدل تلك الأسماء على وجود موصوفاتها. فجميع هذه الجمل تسير على هذا المنوال، فتثبت بالآثار الأفعال، وبالأفعال الأسماء، وبالأسماء وجود واجب الوجود. (المؤلف).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَفَّارُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ اللطيفُ الخبيرُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الخَلَّاقُ القديرُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الجَوَادُ الكريمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ المَغْنِي الكريمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ المُرَبِّي الرَّحِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ العَلِيُّ القويُّ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الشَّهِيدُ الرَّقِيبُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ البَاقِي الأَمَجْدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الفَعَّالُ لِمَا يَرِيدُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ البَاقِي البَاعِثُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ اللطيفُ المُدَبِّرُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الحَنَّانُ المَنَّانُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ العَدْلُ الحَكَمُ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ النورُ الهادي..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ المَعْرُوفُ لِكُلِّ العَارِفِينَ (١)

(١) وفحوى هذه الفقرة والتي تليها من الفقرات، الآتي:

إن كنت تريد معرفة ذلك، فانظر! إن ما عرفه جميع العارفين الذين أتوا في نوع البشر، بدلائلهم المختلفة وطرقهم المتباينة هو "معروف" واحد. فذلك المعروف هو الإله الواحد، فيظهر، وجود من يعرفه أهل المعرفة الذين لا يحصيهم العدّ بوجهه لا تعد ولا تحصى، وضوحاً ظاهراً كالشمس: وكذا إن العابدين الذين لا يحصرهم العدّ في نوع البشر لعبادتهم معبوداً واحداً وجميعهم الثمرات المعنوية إزاء تلك العبادات، وحظوتهم بالمنجاة والفيوضات، يدل على وجود ذلك المعبود بتواتر مضاعف. وهكذا فقس على سائر الفقرات. (المؤلف).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْعَابِدِينَ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَشْكُورُ لِكُلِّ الشَّاكِرِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَذْكُورُ لِكُلِّ الذَّاكِرِينَ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَحْمُودُ لِكُلِّ الْحَامِدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجُودُ لِكُلِّ الطَّالِبِينَ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ لِكُلِّ الْمُوَحِّدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَحْبُوبُ الْحَقُّ لِكُلِّ الْمُحِبِّينَ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَرْغُوبُ لِكُلِّ الْمُرِيدِينَ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْمُتَبِعِينَ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَقْصُودُ لِكُلِّ الْجَنَانِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجِدُ لِكُلِّ الْأَنَامِ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَوْجُودُ فِي كُلِّ زَمَانٍ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَعْبُودُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَذْكُورُ بِكُلِّ لِسَانٍ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمَشْكُورُ بِكُلِّ إِحْسَانٍ ..
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ هُوَ الْمُتَنَعِمُ بِلا امْتِنَانٍ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِيْمَانًا بِاللَّهِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَانَةً عِنْدَ اللَّهِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَعَبُّدًا وَرِقًا
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ

الفصل الثاني

إِنَّ هَذِهِ السُّطُورَ الْخَمْسَةَ أَوْ السِّتَةَ مِنَ التَّمَجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ الَّتِي تَعْتَبِرُ فَاتِحَةَ أُرَادِ الصَّبَاحِ لَدَى
 مَعْظَمِ الْأَقْطَابِ. وَعَلَى الْأَخْصِ الشَّيْخِ الْكِبْلَانِيِّ، قَدْ أَصْبَحَتْ كِنَاوَةً لِسُلْسَلَةِ فِكْرِيَّةٍ طَوِيلَةٍ.
 وَأَنْبَتَتْ سَنبَلًا مَعْنَوِيًّا مِنْ قَبِيلِ الْإِشَارَةِ إِلَى تِسْعٍ وَتِسْعِينَ مَرْتَبَةً مِنْ مَرَاتِبِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ.

وقد ذُكرت هنا تسع وسبعون مرتبة من تلك المراتب التسع والتسعين، وهي تتوجه في كل فقرة من تلك الإشارات، إلى الذات الإلهية المقدسة بجهتين:

الأولى: أنها تشهد على الله سبحانه بالحال الحاضرة المشهودة، فيعبّر عن ذلك المعنى بعبارة "الله شهيد".

الثانية: أنها تدلّ بعبارة "على الله دليل" على إشارة السلسلة التي تظهر بتعاقب الأمثال بعضها وراء بعض.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَصْبَحْنَا^(١) وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ اللَّهُ شَهِيدٌ، وَالْكَبِيرَاءُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
وَالْعَظْمَةُ اللَّهُ شَهِيدٌ، وَالْهَيْبَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
وَالْقُوَّةُ اللَّهُ شَهِيدٌ، وَالْقُدْرَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
وَالْآلَاءُ اللَّهُ شَهِيدٌ،^(٢) وَالْإِنْعَامُ الدَّائِمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

(١) أصبَحنا: أي دخلنا الصباح (صباحاً) ومُلِك هذا الصباح شاهد لله أيضاً.
وفي الباب نكتتان:

النكتة الأولى: إن كل شيء بوجوده الحاضر يشهد على وجود الله ووحدانيته، كما أن تبدُّله المنظم وذهابه كي يفسح المجال لمن يأتي بعده من أمثاله، وإبرازه سلسلة عظيمة تحت صورة التجدد.. كل ذلك دليل على وجود وجوده تعالى وعلى وحدانيته.

والحاصل: يدل بفقرة "شهيد" على الحالة الراهنة. وبجملة "دليل" يدل على السلسلة المتشكلة نتيجة تركب أمثالها المتعاقبة.

النكتة الثانية: من المعلوم حسب القاعدة النحوية أن يقال: "الآلاء على الله شهيدة" ولكن عدل عن ذلك إلى اللفظ المذكور "شهيد" ليدل على أن كل فرد يشهد بذلك. ولو قيل: "شهيدة" لأفاد معنى الجماعة. ويقال: "الربوبية على الله شهيد" مثلاً، لأن المراد من الربوبية هو أن أنواع التربية والتدبير التي أوجدها الله بربوبيته، تشهد بذلك، إذ الربوبية نفسها لا تتشاهد، بينما تتشاهد أنواع التربية والتدبير التي هي آثارها. فقيل: "شهيد" ليجعل كل شيء مشهود. فلو قيل "شهيدة" لكان راجعاً إلى الربوبية نفسها.

وكذلك النكتة في الآية الكريمة ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦) فمع أن الرحمة مؤنثة لم يُعبّر عنها بـ"قريبة" وإنما عبّر بـ"قريب" لأن المراد: ليس إفادة قرب تلك الرحمة العالية الكلية التي هي كالشمس فقط. بدل إفادة قرب الإحسانات الخاصة أيضاً والتي هي بمثابة أشعة تلك الشمس. فيُري لكل محسن إحسان قريب. ولفظ "الإحسان" مذكر. فمن حقه اذن أن يخبر عنه بـ"قريب". كما أن الآية تفيد: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ برحمته لذا لم يقل "قريبة". (المؤلف).

(٢) في أمثال هذا كان ينبغي أن يقال "شهيد" غير أنه استعمل اللفظ المذكور للنكتة المذكورة في كلمة "قريب" بدل "قريبة" في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. ولئن جاء في بعض الأماكن جمعاً، إلا

وَالْبَهَاءُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْجَمَالَ السَّرْمُدُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْجَلَالَ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْكَمَالَ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْعَظْمُوتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْجَبْرُوتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالرُّبُوبِيَّةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْأُلُوهِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالسَّلْطَنَةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَجُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْأَقْصِيَّةُ^(١) لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالتَّقْدِيرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالتَّرْبِيَّةُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالتَّدْبِيرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالتَّصْوِيرُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالتَّنْظِيمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالتَّرْتِيبُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالتَّوْزِينُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْإِتْقَانُ^(٢) لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْجُودُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْخَلْقُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْإِيْجَادُ الدَّائِمُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْحَكْمُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْأَمْرُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْمَحَاسِنُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَاللِّطَائِفُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

أنه ورد بلفظ "شهيد" المذكور لأن المراد كل واحد. (المؤلف).

(١) الأفضية: كما أن الحالة الحاضرة والمقادير المخصوصة والمنظمة للجزئيات تشهد على وجود الفاطر الحكيم، فإن زوال الأمور الكلية وزوال الجزئيات الذي يتم بتقدير وبمقدار منتظم -والذي عبّر عنه بـ"التقدير"- يدل كذلك على وجود ذلك الفاطر الحكيم. وكأن الانتظامات المقتضية تشهد على أن مناوبة الحياة والموت وتجلي القدر والتقدير المنتظم في مناوبة الإحياء والإماتة، كلها تدل على وجوده سبحانه. فمثلاً "التربية" تعني إدارة وجود الشيء ضمن شرائطه. و"التدبير" يعني تغيير ذلك. فلكل منهما دلالة مختلفة. وتستطيع أن تقيس سائر الفقرات على هذا. (المؤلف).

(٢) الإِتْقَانُ: هو الصنع باهتمام وجودة.

واللطائف: أريد بها صور المحاسن المعنوية والمثالية بزوال صورها المشهودة. أو المراد بها: محاسن تلك السلسلة المتعاقبة.

المحامد: المراد أنواع الحمد الحاضرة.

والمدائج: هي الأثنية الثابتة الدائمة، وكأنها أثنية منبعثة من سلسلة الأمثال المحيطة بالمحامد الماضية والمستقبلية.

الكمالات: تعني الكمالات التي تستلزم المعبودية. أي حتى إذا ذهب العابدون بعبادتهم فإن الكمالات التي تقتضي المعبودية باقية. وهي -أي الكمالات- تسوق إلى العبادة بدلاً عن السلاسل الماضية. (المؤلف).

وَالْمَحَامِدُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمَدَائِحُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْعِبَادَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْكَمَالَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالتَّحِيَّاتُ ^(١) لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْبَرَكَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالصَّلَوَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالطَّيِّبَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْمَخْلُوقَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْخَوَارِقُ الْمَاضِيَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْمَوْجُودَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْمُعْجَزَاتُ الْآتِيَةُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالسَّمَاوَاتُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْعَرْشُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالشُّمُوسُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْأَقْمَارُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالتُّجُومُ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالسِّيَّارَاتُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْجَوُّ بِتَصْرِفَاتِهِ وَأَمْطَارِهِ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالْأَرْضُ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

يعني:

(وَالْقُدْرَةُ الظَّاهِرَةُ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِكْمَةُ الْبَاهِرَةُ فِيهَا، وَالصَّنْعَةُ الْمُكَمَّلَةُ فِيهَا، وَالصَّبْعَةُ الْمُتَزَيِّنَةُ فِيهَا، وَالنِّعْمَةُ الْمُتَنَوِّعَةُ فِيهَا، وَالرَّحْمَةُ الْوَاسِعَةُ فِيهَا عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ).
 وَالْقُرْآنُ بِأُلُوفِ آيَاتِهِ لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَمُحَمَّدٌ بِآلَافِ مُعْجَزَاتِهِ عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.
 وَالْبِحَارُ بِعَجَائِبِهَا وَعَرَائِبِهَا لِلَّهِ شَهِيدٌ، وَالنباتاتُ بأوراقها بأزهارها بأثمارها عَلَى اللَّهِ دَلِيلٌ.

(١) التحيات: أي أن جميع ذوي الحياة من حيث اظهارها آثار حياتها ضمن دائرة المراد الإلهي إظهاراً منتظماً، ترحب وتهني صنعة صانعها الجليل. بمثل ما اذا صنع شخص ماكينة خارقةً بديعة ركب على رأسها أجهزة لتسجيل الصوت والتصوير، وتعمل بنفسها، فتتحدث وتكتب وتخبر بصورة ذاتية، وعملت تلك الماكينة على الوجه الذي يريده صانعها وأعطت نتائجها الحسنة. فكما ان الناظر إلى تلك الماكينة يبارك ويهني ذلك الرجل قائلاً: ما شاء الله! بارك الله! ويمنحه هدايا معنوية. كذلك أجهزة تلك الماكينة بإظهارها النتائج المقصودة منها وإظهار آثارها على أكمل وجه، إنما تشكر وتقدر وتحيي صانعها بلسان حالها، وتقدم التهاني والتبريك بقولها.. ما شاء الله معنى.

وهكذا ففي رأس كل ذي حياة آلات وأجهزة كبيرة ومختلفة كأجهزة تسجيل الأصوات والتقاط الصور والبرقيات والهواتف. وهي بإظهارها ما في خلقها من مقاصد ونتائج على أكمل وجه وأتمه، إنما تعلن عن تسيحات لصانعها وعن كمال صنعته التي تعبر عنها بـ"التحيات" باستحساناتها وتهليلاتها وتكبيراتها وهداياها المعنوية.

أما نحن فبقولنا "التحيات" إنما نتذكر تلك التحيات ونقدمها إلى الحضرة الإلهية تعبيراً عن أنفسنا، واللسان بحد ذاته جهاز من تلك الأجهزة فأولى النتائج المطلوبة منها أن يكون مترجماً لهذه التحيات. (المؤلف).

يعني:

(فالدلائل المتزيّبات المتزّهرات المُثمّرات المُسبّحات بأوراقها، والحامدات بأزهارها،
والمُكبرّات بأثمارها، على الله دليلٌ)

والأشجار بأوراقها المُسبّحات وأزهارها الحامدات وأثمارها المُكبرّات لله شهيدٌ.
والحيوانات المُكبرّات، والحويّات المُسبّحات، والطُوريات الحامدات، والطُوريات
الصّافّة المهلّلات على الله دليلٌ.

والإنس والجنّ بعبادتهم وصلواتهم في مسجد الكائنات لله شهيدٌ، والمَلِك والرُّوح
في مسجد العالم بتسبيحاتهم وعباداتهم على الله دليلٌ.

وَالصَّنْعَةُ لله فَالْمَدْحُ لله..

وَالصَّبِغَةُ لله فَالثَّنَاءُ لله..

وَالنِّعْمَةُ لله فَالشُّكْرُ لله..

وَالرَّحْمَةُ لله.. فَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الباب الخامس

في مراتب ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(١) . وَهُوَ خَمْسُ نَكَتٍ..

النكته الأولى

فهذا الكلام دواء مجرب لمرض العجز البشري وسقم الفقر الإنساني ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٢) (آل عمران: ١٧٣) إِذْ هُوَ الْمَوْجِدُ الْمَوْجُودُ الْبَاقِي، فَلَا بَأْسَ بِزَوَالِ الْمَوْجُودَاتِ، لِدَوَامِ الْوُجُودِ الْمَحْبُوبِ بِنِقَاءِ مُوجِدِهِ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ . وَهُوَ الصَّانِعُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي، فَلَا حُزْنَ عَلَى زَوَالِ الْمَصْنُوعِ، لِنِقَاءِ مَدَارِ الْمَحَبَّةِ فِي صَانِعِهِ .

وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَالِكُ الْبَاقِي، فَلَا تَأْسُفَ عَلَى زَوَالِ الْمُلْكِ الْمَتَجَدِّدِ فِي زَوَالِ وَدَهَابِ . وَهُوَ الشَّاهِدُ الْعَالِمُ الْبَاقِي، فَلَا تَحَسَّرَ عَلَى غَيْبِيَّةِ الْمَحْبُوبَاتِ مِنَ الدُّنْيَا، لِنِقَائِهَا فِي دَائِرَةِ عِلْمِ شَاهِدِهَا وَفِي نَظَرِهِ .

(١) قبل ثلاثة عشر عاماً أَلقيت نظرة على الدنيا من على قمة تل "يوشع" الشاهق... وكنت كسائر الناس مفتوناً بطبقات الموجودات المتداخلة ومحاسنها. كما كنت مشدوداً إليها بحب شديد؛ مع أنني شاهدت بعقلي انحدارها إلى الفناء والزوال بشكل ظاهر وواضح جداً. فأحسست ألماً وفراقاً؛ بل أحسست ظلمة آتية من فراقها لا حد لها. فأغاثتني -فجأة- آية ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ بمراتبها الثلاثة والثلاثين. فبدأت أقرؤها بشكل رمزي على نحو ما سيذكر.

ان كل جملة من الجمل السبع المباركة التي كنت أواظب عليها بين المغرب والعشاء ستكون لمعة ضمن لمعات "المكتوب الحادي والثلاثين". وقد دخلت خمسُ جمل منها وبقيت هاتان الجملتان. لذا بقي مكانُ المعة الرابعة والمعة الخامسة فارغاً. وستكون إحدى الجمل حول مراتب ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾. أما الأخرى فحول مراتب "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". ولما كانت مراتب هاتين الجملتين المباركتين عبارة عن الذكر والفكر أكثر من كونها علماً، فقد ذُكرت في الباب الخامس بالعربية. (المؤلف).

(٢) لقد رأيت في وقت ما أنواراً ومقامات كثيرة لهذه الجملة المباركة. فأنقذتني من ورطاتٍ وظلمات رهيبية. وكنت قد وضعت إشارات على تلك الأحوال والمقامات: فتارة في صورة فقرة مختصرة جداً، وأخرى بكلمات معدودات لأجل تذكير نفسي. أما تلك الفقرة الأولى، فكنيت كلما فكرت في موت ذوي الحياة بموت وفناء الدنيا الضخمة التي هي محبوبتي كما هي محبوبتي للآخرين، وجدت أن ضمام الآمي وهمومي العميقة هو: "حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ". والجمل التي في البداية تسير حسب هذا السر. (المؤلف).

وَهُوَ الصَّاحِبُ الْفَاطِرُ الْبَاقِي، فَلَا كَدَرَ عَلَى زَوَالِ الْمُسْتَحْسَنَاتِ، لِذَوَامِ مُنْشَأِ مَحَاسِنِهَا فِي أَسْمَاءِ فَاطِرِهَا.

وَهُوَ الْوَارِثُ الْبَاعِثُ الْبَاقِي، فَلَا تَلَهَّفَ عَلَى فِرَاقِ الْأَحْبَابِ، لِبَقَاءِ مَنْ يَرْتُهُمْ وَيَبْعَثُهُمْ. وَهُوَ الْجَمِيلُ الْجَلِيلُ الْبَاقِي، فَلَا تَحْزَنَنَّ عَلَى زَوَالِ الْجَمِيلَاتِ الَّتِي هِيَ مَرَايَا لِلْأَسْمَاءِ الْجَمِيلَاتِ، لِبَقَاءِ الْأَسْمَاءِ بِجَمَالِهَا بَعْدَ زَوَالِ الْمَرَايَا.

وَهُوَ الْمَعْبُودُ الْمَحْبُوبُ الْبَاقِي، فَلَا تَأْلَمَنَّ مِنْ زَوَالِ الْمَحْبُوبَاتِ الْمَجَازِيَّةِ، لِبَقَاءِ الْمَحْبُوبِ الْحَقِيقِيِّ.

وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْوَدُودُ الرَّؤُوفُ الْبَاقِي، فَلَا غَمَّ وَلَا مَأْيُوسِيَّةَ وَلَا أَهْمِيَّةَ مِنْ زَوَالِ الْمُتَمَعِّمِينَ الْمُشْفِقِينَ الظَّاهِرِينَ، لِبَقَاءِ مَنْ وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ وَسَفَقَتْهُ كُلُّ شَيْءٍ.

وَهُوَ الْجَمِيلُ اللَّطِيفُ الْعَطُوفُ الْبَاقِي، فَلَا حِرْقَةَ وَلَا عِرَّةَ بِزَوَالِ اللَّطِيفَاتِ الْمُشْفِقَاتِ لِبَقَاءِ مَنْ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّهَا، وَلَا يَقُومُ الْكُلُّ مَقَامَ تَجَلٍّ وَاحِدٍ مِنْ تَجَلِّيَاتِهِ؛ فَبَقَاؤُهُ بِهِدِهِ الْأَوْصَافِ يَقُومُ مَقَامَ كُلِّ مَا فِي زَوَالِ مِنْ أَنْوَاعِ مَحْبُوبَاتِ كُلِّ أَحَدٍ مِنَ الدُّنْيَا. ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ نَعَمْ، حَسْبِي مِنْ بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا بَقَاءَ مَالِكِهَا وَصَانِعِهَا وَفَاطِرِهَا.

النكتة الثانية

حَسْبِي^(١) مِنْ بَقَائِي أَنَّ اللَّهَ هُوَ إِلَهِي الْبَاقِي، وَخَالِقِي^(٢) الْبَاقِي، وَمُوجِدِي الْبَاقِي، وَفَاطِرِي الْبَاقِي، وَمَالِكِي الْبَاقِي، وَشَاهِدِي الْبَاقِي، وَمَعْبُودِي الْبَاقِي وَبَاعِثِي الْبَاقِي، فَلَا بَأْسَ وَلَا

(١) مثلما رأيت جلوات الأسماء الباقية للباقي ذي الجلال وراء فناء الدنيا وزوال الآفاق، فشعرت بسلوان تام، كذلك نظرت إلى شخصي، فإذا بمختلف طبقات الموجودات النفسية العديدة والصفات الشخصية وحقائقها التي افتتنت بها في شخصي تجري بسرعة نحو الزوال والفناء، فبحثت في تلك الفانيات عن البقاء بسر ما غرز في فطرة الإنسان من عشق البقاء، فوجدت جلوة أسماء خالقي الباقي، ورأيت في زوال كل صفة من صفاتي جلوة باقية من جلوات اسم من الأسماء المتمثلة فيها. عند ذلك أدركت إدراكاً قطعاً أن عشق البقاء الكامن في فطرة الإنسان محبة متشعبة عن المحبة الإلهية.

يبد أن الإنسان يتحرى محبوبه بشكل خطأ؛ فبينما يلزم عليه حب المتمثل في المرأة والبحث عنه، يبدأ بحب المرأة أو حب كيفية التمثل فيها والتي تعد بمثابة الزينة لها. فيعبد "أنا" بدلاً من أن يعبد "هو". ولكن يدرك خطؤه بعد زواله.

إن القلب وماهية الإنسان مرآة ذات شعور، تحس ما يتمثل فيها بشعور، وتجه بعشق البقاء. (المؤلف).

(٢) إن حرف "الباء" التي تتكرر في الكلمات الثمانية، ضمير متكلم تبين نفسها. (المؤلف).

حُزْنَ وَلَا تَأْسَفَ وَلَا تَحْسَرَ عَلَى زَوَالِ وَجُودِي، لِبَقَاءِ مُوجِدِي، وَإِيجَادِهِ بِأَسْمَائِهِ. وَمَا فِي شَخْصِي مِنْ صِفَةٍ إِلَّا وَهِيَ مِنْ شُعَاعِ اسْمِ مِنْ أَسْمَائِهِ الْبَاقِيَةِ؛ فَرَوَالُ تِلْكَ الصِّفَةِ وَفَنَاؤُهَا لَيْسَ إِعْدَامًا لَهَا، لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي دَائِرَةِ الْعِلْمِ وَبَاقِيَةٌ وَمَشْهُودَةٌ لِخَلْقِهَا.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْبَقَاءِ وَلَذَتْهُ عِلْمِي وَإِذْعَانِي وَسُعُورِي وَإِيمَانِي بِأَنَّهُ إِلَهِي الْبَاقِي الْمُمْتَلِ شُعَاعِ اسْمِهِ الْبَاقِي فِي مِرَاةِ مَا هَيْتِي؛ وَمَا حَقِيقَةُ مَا هَيْتِي إِلَّا ظِلٌّ لِدَلِكِ الْإِسْمِ. فَبَسِرَ تَمَثُّلِهِ فِي مِرَاةِ حَقِيقَتِي صَارَتْ نَفْسُ حَقِيقَتِي مَحْبُوبَةً، لَا لِذَاتِهَا بَلْ بِسِرِّ مَا فِيهَا وَبَقَاءِ مَا تَمَثَّلَ فِيهَا أَنْوَاعَ بَقَاءٍ لَهَا.

النكتة الثالثة (١)

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ إِذْ هُوَ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ الَّذِي مَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيِّئَاتُ إِلَّا مَظَاهِرٌ لِتَجَدُّدِ تَجَلِّيَاتِ إِيجَادِهِ وَوُجُودِهِ؛ بِهِ وَبِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ وَبِمَعْرِفَتِهِ أَنْوَارُ الْوُجُودِ بِلَا حِدٍّ. وَبِدُونِهِ ظُلُمَاتُ الْعَدَمَاتِ وَالْآلَمُ الْفِرَاقَاتِ الْعُغْرِ الْمَحْدُودَاتِ.

وَمَا هَذِهِ الْمَوْجُودَاتُ السَّيِّئَاتُ إِلَّا وَهِيَ مَرَايَا وَهِيَ مُتَجَدِّدَةٌ بِتَبَدُّلِ التَّعْيُنَاتِ الْإِعْتِبَارِيَّةِ فِي فَنَائِهَا وَزَوَالِهَا وَبَقَائِهَا بِسِتَّةِ وَجُوهٍ:

الأول: بقاء معانيها الجميلة وهوياتها المثالية.

والثاني: بقاء صورها في الألواح المثالية.

والثالث: بقاء ثمراتها الأخروية.

والرابع: بقاء تشبيحاتها الربانية المُمْتَلِ لَهَا الَّتِي هِيَ نَوْعٌ وَجُودٍ لَهَا.

والخامس: بقاءها في المشاهد العلمية والمناظر السردية.

(١) كنت أفكر منذ أمد بعيد أن أشير إشارة عابرة مجملة إلى مراتب حقيقة هامة؛ تم إيضاحها بخمسة رموز وخمس إشارات في "المكتوب الرابع والعشرين" الذي يكشف عن طلسم الفعالية الدائمة التي هي من أهم معيّنات الكون والتي تجري بصفة دائمة في خضم الموت والحياة والفناء والزوال. أما الفناء والزوال والعدم فمسائل تعبر عن عناوين لأنواع مختلفة من الوجود، وتثمر كثيراً من أنماطها، وإن الشيء الآيل إلى الزوال يترك وراءه أضراباً كثيرة من الوجود. وإن موت ذي حياة وزواله يثمر وجودات كثيرة، يتركها وراءه ثم يذهب. نعم، إن الشيء الفاني يظل باقياً من جهات متعددة. فالحبة تموت بالبلى والتعفن، ولكنها تترك مكانها سنبلة جامعة لمائة حبة. وهكذا، وبناء على هذا السر فالخوف من الموت والعدم، والتأسف على الزوال ليس أمراً في موضعه. (المؤلف).

وَالسَّادِسُ: بَقَاءُ أَرْوَاحِهَا إِنْ كَانَتْ مِنْ ذَوِي الْأَرْوَاحِ. (١) وَمَا وَظِفَتْهَا فِي كَيْفِيَّاتِهَا الْمُتَخَالِفَةِ فِي مَوْتِهَا وَفَنَائِهَا وَزَوَالِهَا وَعَدَمِهَا وَظُهُورِهَا وَأَنْطِقَاتِهَا إِلَّا إِظْهَارُ الْمُقْتَضِيَّاتِ لِلْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ. فَمَنْ سَرَّ هَذِهِ الْوَظِيفَةَ صَارَتْ الْمَوْجُودَاتُ كَسَبِيلٍ فِي غَايَةِ الشَّرْعَةِ تَتَمَوَّجُ مَوْتًا وَحَيَاةً وَوُجُودًا وَعَدَمًا، وَمِنْ هَذِهِ الْوَظِيفَةِ تَنْظَاهُرُ الْفَعَالِيَّةُ الدَّائِمَةُ وَالْخَلَاقِيَّةُ الْمُسْتَمِرَّةُ. فَلَا بُدَّ لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ يَعْنِي: حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ أَيُّ أَثَرٍ مِنْ أَثَارِ وَاجِبِ الْوُجُودِ. كَفَانِي أَنْ سَيِّئًا مِنْ هَذَا الْوُجُودِ الْمُنَوَّرِ الْمَطْهَرِ مِنْ مَلَائِينَ سَنَةٍ مِنَ الْوُجُودِ الْمُرَوَّرِ الْأَبْتَرِ.

نَعَمْ، بِسَرِّ الْإِنْتِسَابِ الْإِيمَانِي تَقُومُ دَقِيقَةٌ مِنَ الْوُجُودِ؛ مَقَامَ الْأُوفِ سَنَةٍ بِلا إِنْتِسَابِ إِيمَانِي، بَلْ تِلْكَ الدَّقِيقَةُ أَنْتُمْ وَأَوْسَعُ بِمَرَاتِبٍ مِنْ تِلْكَ الْأَلْفِ سَنَةٍ. وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَقِيمَتِهِ أَيُّ صَنْعَةٍ مِنْ هُوَ فِي السَّمَاءِ عَظَمَتُهُ، وَفِي الْأَرْضِ آيَاتُهُ، وَخَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ. وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْوُجُودِ وَكَمَالِهِ أَيُّ مَصْنُوعٍ مِنْ زَيْنٍ وَنُورٍ السَّمَاءِ بِمَصَابِيحٍ، وَزَيْنٍ وَبَهْرِ الْأَرْضِ بِأَزْهَابِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْفَخْرِ وَالشَّرَفِ أَيُّ مَخْلُوقٍ وَمَمْلُوكٍ وَعَبْدٍ لِمَنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتُ بِجَمِيعِ كَمَالَاتِهَا وَمَحَاسِنِهَا ظَلَّ ضَعِيفٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى كَمَالِهِ وَجَمَالِهِ، وَمِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ وَإِشَارَاتِ جَمَالِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَنْ يَدْخُرُ مَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى مِنْ نِعْمِهِ فِي صُنْدِيقَاتٍ لَطِيفَةٍ هِيَ بَيْنَ "الْكَافِ وَالنُّونِ" فَيَدْخُرُ بِقُدْرَتِهِ مَلَائِينَ فَنُطَارًا فِي قَبْضَةٍ وَاحِدَةٍ فِيهَا صُنْدِيقَاتٌ لَطِيفَةٌ تُسَمَّى بُدُورًا وَنَوَايَا.

(١) كما برهن على بقائها بالقطع والضرورة ببراهين باهرة في "الكلمة التاسعة والعشرين". وإن لم يكن من ذوي الأرواح، تبقى قوانين حقيقتها وخلقتها ونواميس ماهيتها ودساتير تشكلها. فإن ذلك القانون والناموس والديستور روح أمرى لذلك الفرد ولنوعه. كما أن شجرة التينة تموت وتعدم ويبقى روحها الأمرى الذي هو قوانين تشكله ويدوم في نُويته الصغيرة؛ فذلك الروح الأمرى لا يموت بل يتجدد عليه الصور، بل تدوم ماهيته للحياة. إذ ماهيتها ظل لاسم من الأسماء الحسنى الباقية، فتبقى تلك الماهية تحت شعاع الاسم الباقى، وتبقى هويته أيضا في كثير من الألواح المثالية. فلا يكون العدم إلا عنواناً لانتقال وجود زائل إلى أنواع من وجود دائم. (المؤلف).

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ ذِي جَمَالٍ وَذِي إِحْسَانٍ؛ الْجَمِيلُ الرَّحِيمُ الَّذِي مَا هَذِهِ الْمَصْنُوعَاتُ
الْجَمِيلَاتُ إِلَّا مَرَايَا مُتَمَائِنَةٌ لَتَجَدُّدِ أَنْوَارِ جَمَالِهِ بِمَرِّ الْفُصُولِ وَالْعُصُورِ وَالذُّهُورِ. وَهَذِهِ
النِّعَمُ الْمُتَوَاتِرَةُ وَالْأَنْمَارُ الْمُتَعَاقِبَةُ فِي الرَّبِيعِ وَالصَّيْفِ مَظَاهِرٌ لَتَجَدُّدِ مَرَاتِبِ إِنْعَامِهِ الدَّائِمِ
عَلَى مَرِّ الْأَنْامِ وَالْأَيَّامِ وَالْأَعْوَامِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَمَاهِيَّتِهَا أَنِّي خَرِيطةٌ وَفِهْرَسْتَةٌ وَفَذَلِكَ وَمِيزَانٌ وَمِقْيَاسٌ لَجَلَوَاتِ
أَسْمَاءِ خَالِقِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَوُظِفَتْهَا كَوْنِي كَكَلِمَةٍ مَكْتُوبَةٍ بِقَلَمِ الْقُدْرَةِ، وَمُفْهَمَةٍ ذَالَةٍ
عَلَى أَسْمَاءِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ بِمَظْهَرِيَّةِ حَيَاتِي لِلشُّوْنِ الدَّائِيَّةِ لِغَاطِرِي الَّذِي لَهُ
الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَحُقُوقِهَا إِعْلَانِي وَتَشْهيري بَيْنَ إِخْوَانِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَإِعْلَانِي
وَإِظْهَارِي لِنَظَرِ شُهُودِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ بِتَرْيُّبِي بِجَلَوَاتِ أَسْمَاءِ خَالِقِي الَّذِي رَيْنِي بِمُرْصَعَاتِ
حَلَّةِ وَجُودِي وَخَلَعَةِ فِطْرَتِي وَقِلَادَةِ حَيَاتِي الْمُتَنْظِمَةِ الَّتِي فِيهَا مَزِينَاتٌ هَدَايَا رَحْمَتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي فَهَمِي لِتَحِيَّاتِ ذَوِي الْحَيَاةِ لِوَاهِبِ الْحَيَاةِ وَشُهُودِي لَهَا
وَشَهَادَاتِ عَلَيْهَا.

وَكَذَا حَسْبِي مِنْ حُقُوقِ حَيَاتِي تَبَرُّجِي وَتَرْيُّبِي بِمُرْصَعَاتِ جَوَاهِرِ إِحْسَانِهِ بِشُعُورِ إِيْمَانِي
لِلْعَرَضِ لِنَظَرِ شُهُودِ سُلْطَانِي الْأَزَلِّيِّ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَلَدَّتْهَا عِلْمِي وَإِدْعَانِي وَشُعُورِي وَإِيْمَانِي، بِأَنِّي عَبْدُهُ وَمَصْنُوعُهُ
وَمَخْلُوقُهُ وَفَقِيرُهُ وَمُحْتَاجٌ إِلَيْهِ؛ وَهُوَ خَالِقِي رَحِيمٌ بِي، كَرِيمٌ لَطِيفٌ مُنْعِمٌ عَلَيَّ، يُرَيْنِي كَمَا
يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْحَيَاةِ وَقِيمَتِهَا مِقْيَاسِيَّتِي بِأَمْثَالِ عَجْزِي الْمُطْلَقِ وَفَقْرِي الْمُطْلَقِ
وَضَعْفِي الْمُطْلَقِ لِمَرَاتِبِ قُدْرَةِ الْقَدِيرِ الْمُطْلَقِ، وَدَرَجَاتِ رَحْمَةِ الرَّحِيمِ الْمُطْلَقِ، وَطَبَقَاتِ
قُوَّةِ الْقَوِيِّ الْمُطْلَقِ.

وَكَذَا حَسْبِي بِمَعْكِسِيَّتِي بِجُزْئِيَّاتِ صِفَاتِي مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِرَادَةِ وَالْقُدْرَةِ الْجُزْئِيَّةِ لِفَهْمِ
الصِّفَاتِ الْمُحِيطَةِ لِخَالِقِي. فَأَفْهَمُ عِلْمَهُ الْمُحِيطَ بِمِيزَانِ عِلْمِي الْجُزْئِيِّ.

وَهَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ؛ عِلْمِي بِأَنَّ إِلَهِي هُوَ الْكَامِلُ الْمُطْلَقُ. فَكُلُّ مَا فِي الْكُونِ مِنْ

الْكَمَالِ مِنْ آيَاتِ كَمَالِهِ، وَإِشَارَاتٍ إِلَى كَمَالِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مِنَ الْكَمَالِ فِي نَفْسِي الْإِيمَانَ بِاللَّهِ. إِذِ الْإِيمَانُ لِلْبَشَرِ مَبْنُوعٌ لِكُلِّ كَمَالَاتِهِ.
وَكَذَا حَسْبِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِأَنْوَاعِ حَاجَاتِي الْمَطْلُوبَةِ بِأَنْوَاعِ أَلْسِنَةِ جِهَاتِي الْمُخْتَلِفَةِ
إِلَهِي وَرَبِّي وَخَالِقِي وَمُصَوِّرِي الَّذِي لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى الَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي
وَيُرَبِّبُنِي وَيُدَبِّرُنِي وَيُكَمِّلُنِي، جَلَّ جَلَالُهُ وَعَمَّ نَوَالُهُ.

النكتة الرابعة

حَسْبِي لِكُلِّ مَطْلَبِي مَنْ فَتَحَ صُورَتِي وَصُورَةَ أُمَّتَالِي مِنْ ذَوِي الْحَيَاةِ فِي الْمَاءِ بِلَطِيفِ
صُنْعِهِ وَلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَلَطِيفِ حِكْمَتِهِ وَلَطِيفِ رُبُوبِيَّتِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي لِكُلِّ مَقَاصِدِي مِنْ أَشْأَانِي وَشَقِّ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَأَدْرَجَ فِي جِسْمِي لِسَانًا
وَجَنَانًا، وَأَوْدَعَ فِيهَا وَفِي جِهَاتِي؛ مَوَازِينَ حَسَّاسَةً لَا تُعَدُّ لَوْزَنَ مُدْخَرَاتِ أَنْوَاعِ خَرَائِنِ
رَحْمَتِهِ. وَكَذَا أَدْمَجَ فِي لِسَانِي وَجَنَانِي وَفَطَّرَتِي آلَاتِ جَسَّاسَةً لَا تُحْصَى لِفَهْمِ أَنْوَاعِ كُنُوزِ
أَسْمَائِهِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ أَدْرَجَ فِي شَخْصِي الصَّغِيرِ الْحَقِيرِ، وَأَدْمَجَ فِي وُجُودِي الضَّعِيفِ
الْمُقِيرِ هَذِهِ الْأَعْضَاءَ وَالْآلَاتِ وَهَذِهِ الْجَوَارِحَ وَالْجِهَاتِ وَهَذِهِ الْحَوَاسَّ وَالْحِسِّيَّاتِ وَهَذِهِ
الطَّائِفَ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ؛ لِإِحْسَاسِ جَمِيعِ أَنْوَاعِ نِعْمِهِ، وَإِلِذَاقَةِ أَكْثَرِ تَجَلِّيَّاتِ أَسْمَائِهِ بِجَلِيلِ
أُلُوهِيَّتِهِ وَجَمِيلِ رَحْمَتِهِ وَبِكَبِيرِ رُبُوبِيَّتِهِ وَكَرِيمِ رَأْفَتِهِ وَبِعَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَلَطِيفِ حِكْمَتِهِ.

النكتة الخامسة

لَا بُدَّ لِي وَلِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَقُولَ حَالًا وَقَالَ وَمُتَشَكِّرًا وَمُفْتَحِرًا: حَسْبِي مَنْ خَلَقَنِي،
وَأَخْرَجَنِي مِنَ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنُورِ الْوُجُودِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي حَيًّا، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ نِعْمَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي تُعْطِي لِصَاحِبِهَا كُلِّ شَيْءٍ،
وَتُبَدُّ يَدَ صَاحِبِهَا إِلَى كُلِّ شَيْءٍ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي إِنْسَانًا، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي صَيَّرَتِ الْإِنْسَانَ عَالِمًا
صَغِيرًا أَكْبَرَ مَعْنَى مِنَ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مُؤْمِنًا، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ نِعْمَةَ الْإِيمَانِ الَّذِي يُصَيِّرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ

كُسْفَرَتَيْنِ مَمْلُوتَيْنِ مِنَ النَّعَمِ يُقَدِّمُهُمَا إِلَى الْمُؤْمِنِ بِيَدِ الْإِيمَانِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مِنْ أُمَّةٍ حَبِيبَةٍ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِمَا فِي الْإِيمَانِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمُحِبُّوبِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ، الَّتِي هِيَ مِنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالَاتِ الْبَشَرِيَّةِ.. وَبِتِلْكَ الْمَحَبَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ تَمْتَدُّ أَيَادِي اسْتِفَادَةِ الْمُؤْمِنِ إِلَى مَا لَا يَتَنَاهَى مِنْ مُشْتَمَلَاتِ دَائِرَةِ الْإِمْكَانِ وَالْوُجُوبِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ فَضَّلَنِي جِنْسًا وَنَوْعًا وَدِينًا وَإِيمَانًا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، فَلَمْ يَجْعَلْنِي جَامِدًا وَلَا حَيَوَانًا وَلَا ضَالًّا. فَلَهُ الْحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ جَعَلَنِي مَظْهَرًا جَامِعًا لِتَجَلِّيَّاتِ أَسْمَائِهِ، وَأَنْعَمَ عَلَيَّ بِنِعْمَةٍ لَا تَسْعُهَا الْكَائِنَاتُ بِسِرِّ حَدِيثِ "لَا يَسْعُنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي وَيَسْعُنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ"^(١) يَعْني أَنَّ الْمَاهِيَّةَ الْإِنْسَانِيَّةَ مَظْهَرٌ جَامِعٌ لِجَمِيعِ تَجَلِّيَّاتِ الْأَسْمَاءِ الْمُتَجَلِّيَّةِ فِي جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ.

وَكَذَا حَسْبِي مَنْ اشْتَرَى مُلْكُهُ الَّذِي عِنْدِي مِنِّي لِيَحْفَظَهُ لِي، ثُمَّ يُعِيدُهُ إِلَيَّ، وَأَعْطَانَا ثَمَنَهُ الْجَنَّةَ. فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ بَعْدَ ضَرْبِ ذَرَاتٍ وَجُودِي فِي ذَرَاتِ الْكَائِنَاتِ.

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللَّهُ نُورٌ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

حَسْبِي رَبِّي جَلَّ اللَّهُ سِرُّ قَلْبِي ذِكْرُ اللَّهِ

ذِكْرُ أَحْمَدَ صَلَّى اللَّهُ

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

(١) انظر: أحمد بن حنبل، الزهد ٨١؛ الغزالي، إحياء علوم الدين ١٥/٣؛ الديلمي، المسند ١٧٤/٣؛ الزركشي، التذكرة في الأحاديث المشتهرة ١٣٥؛ السخاوي، المقاصد الحسنة ٩٩٠؛ العجلوني، كشف الخفاء ٢٥٥/٢.. قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية: وذكر جماعة له من الصوفية لا يريدون حقيقة ظاهره من الاتحاد والحلول لأن كلاً منهما كفر، وصالحو الصوفية أعراف الناس بالله وما يجب له وما يستحيل عليه، وإنما يريدون بذلك أن قلب المؤمن يسع الإيمان بالله ومحبه ومعرفته. أهـ.

الباب السادس

في "لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ"^(١)

وهذه الكلمة الطيبة المباركة خامسة من الخمس الباقيات الصالحات المشهورات التي هي: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلهي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي! لِي فَقَرٌّ بِلا نِهايَةٍ، مَعَ أَنَّ حَاجَتِي وَمَطالِبِي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وَتَقْصُرُ يَدِي عَن أَدنى مَطالِبِي. فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ يا رَبِّي الرَّحِيمِ! ويا خالِقِي الكَرِيمِ! يا حَسِيبٌ يا وَكِيلٌ يا كافي.

إلهي! اِختياري كَشَعْرَةٍ ضَعِيفَةٍ، وَآمالِي لا تُحصى. فَأَعْجِزْ دائِمًا عَمَّا لا أُسْتَغني عَنْهُ أَبداً. فَلا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ يا عَنِّي يا كَرِيمٌ يا كَفِيلٌ يا وَكِيلٌ يا حَسِيبٌ يا كافي.

إلهي وَسَيِّدِي وَمَالِكِي! اِقتداري كَذَرَّةٍ ضَعِيفَةٍ، مَعَ أَنَّ الأعداءَ وَالْعِللَ وَالْأوهامَ وَالْأهوالَ وَالْآلامَ وَالْأسقامَ وَالظُّلُماتِ وَالضُّلالَ وَالْأَسفارَ الطِّوالَ ما لا تُحصى. فَلا حَوْلَ عَنها، وَلا قُوَّةَ عَلى مُقابَلَتِها إِلاَّ بِكَ يا قَوِيٌّ يا قَدِيرٌ يا قَرِيبٌ يا مُجِيبٌ يا حَفيظٌ يا وَكِيلٌ.

(١) لقد أوضحنا في رسائل كثيرة؛ بأن في فطرة الإنسان عجزاً بلا حدود وفقرأ بلا نهاية، مع أن له أعداء لا حد لهم ومطالب لا تنتهي. والإنسان من أجل هذا العجز والفقر محتاج فطرة إلى الالتجاء إلى قدير رحيم. فكما أن الجملة الأولى من آية: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ ترشد إلى مرهم للعجز وملجأ تجاه كل أعدائه؛ وأن الجملة الثانية ﴿نعم الوكيل﴾، دواء لفقره ووسيلة إلى تحقيق جميع مطالبه؛ وكذلك جملة "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" دواء للعجز والفقر البشريين كجملة ﴿حسبنا الله﴾ تماماً، ولكنه في صورة أخرى، فكلمة "لا حول" تبيّن أن نقطة استناده تجاه أعدائه، بتبرؤه من قوته ملجئاً إلى القدرة الإلهية وتنفيذ كلمة "لا قوة" أن الوسيلة لقضاء مطالبه وحاجاته هي التوكل مع الاعتماد على القدرة الإلهية. ولقد أحسست بمراتب كثيرة لجملة "لا حول ولا قوة.. هذه في نفسي بتجارب كثيرة. فوضعت كلمات مختصرة إشارة إلى تلك المراتب فألاحظ تلك المراتب بوساطة تلك الإشارات. وسوف يذكر في هذا الباب من الكلمات التي ترمز إلى قسم من تلك المراتب بعينها. (المؤلف).

إلهي! حياتي كَشَعْلَةٍ تَنْطَفِئُ كَأَمْثَالِي. وَأَمَالِي لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنِّي طَلَبِ تِلْكَ
الْأَمَالِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَحْصِيلِهَا إِلَّا بِكَ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيْلُ يَا وَافِي.
إلهي! عُمْرِي كَدَقِيقَةٍ تَنْقُضِي كَأَقْرَانِي؛ مَعَ أَنَّ مَقَاصِدِي وَمَطَالِبِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى.
فَلَا حَوْلَ عِنْدَهَا وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا أَرْزَلِي يَا أَبْدِي يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيْلُ يَا وَافِي.
إلهي! شُعُورِي كَلَمْعَةٍ تَزُولُ؛ مَعَ أَنَّ مَا يَلْزَمُ مُحَافَظَتَهُ مِنْ أَنْوَارِ مَعْرِفَتِكَ، وَمَا يَلْزَمُ
التَّحْفُظَ مِنْهُ مِنَ الظُّلْمَاتِ وَالضَّلَالَاتِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنِّي تِلْكَ الظُّلْمَاتِ
وَالضَّلَالَاتِ وَلَا قُوَّةَ عَلَى هَاتِيكَ الْأَنْوَارِ وَالْهِدَايَاتِ إِلَّا بِكَ يَا عَلِيمُ يَا خَبِيرُ يَا حَسِيبُ يَا
كَافِي يَا حَفِيزُ يَا وَكِيْلُ.

إلهي! لِي نَفْسٌ هَلُوعٌ وَقَلْبٌ جَزُوعٌ وَصَبْرٌ ضَعِيفٌ وَجِسْمٌ نَحِيفٌ وَبَدَنٌ عَلِيلٌ ذَلِيلٌ، مَعَ
أَنَّ الْمَحْمُولَ عَلَيَّ مِنَ الْأَحْمَالِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ ثَقِيلٌ ثَقِيلٌ. فَلَا حَوْلَ عَنِّي تِلْكَ الْأَحْمَالِ وَلَا
قُوَّةَ عَلَى حَمْلِهَا إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الرَّحِيمُ يَا خَالِقِي الْكَرِيمُ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي يَا وَكِيْلُ يَا وَافِي.
إلهي! لِي مِنَ الزَّمَانِ أَنْ يَسِيلَ فِي سَبِيلِ وَاسِعٍ سَرِيعِ الْجَرِيَانِ؛ وَلِي مِنَ الْمَكَانِ مِقْدَارُ
القَبْرِ مَعَ عِلَاقَتِي بِسَائِرِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمَنَةِ. فَلَا حَوْلَ عَنِّي الْعِلَاقَةَ بِهَا، وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْوُضُوءِ
إِلَى مَا فِيهَا إِلَّا بِكَ يَا رَبَّ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَكْوَانِ، وَيَا رَبَّ الدُّهُورِ وَالْأَزْمَانِ يَا حَسِيبُ يَا كَافِي
يَا كَفِيلُ يَا وَافِي.

إلهي! لِي عَجْزٌ بِلَا نِهَآيَةٍ وَضَعْفٌ بِلَا غَايَةٍ، مَعَ أَنَّ أَعْدَائِي وَمَا يُؤْلَمُنِي وَمَا أَخَافُ مِنْهُ
وَمَا يُهْدِدُنِي مِنَ الْبَلَايَا وَالْآفَاتِ مَا لَا تُحْصَى. فَلَا حَوْلَ عَنِّي هَجَمَاتِهَا وَلَا قُوَّةَ عَلَى دَفْعِهَا
إِلَّا بِكَ يَا قَوِي يَا قَدِيرُ يَا قَرِيبُ يَا رَقِيبُ يَا كَفِيلُ يَا وَكِيْلُ يَا حَفِيزُ يَا كَافِي.

إلهي! لِي فَقْرٌ بِلَا غَايَةٍ وَفَاقَةٌ بِلَا نِهَآيَةٍ؛ مَعَ أَنَّ حَاجَاتِي وَمَطَالِبِي وَوُضَائِفِي مَا لَا تُحْصَى.
فَلَا حَوْلَ عِنْدَهَا وَلَا قُوَّةَ عَلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا غَنِيُّ يَا كَرِيمُ يَا مُغْنِيُّ يَا رَحِيمُ.

إلهي تَبَرَّأْتُ إِلَيْكَ مِنْ حَوْلِي وَقُوَّتِي، وَالتَّجَأْتُ إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَلَا تَكِلْنِي إِلَى
حَوْلِي وَقُوَّتِي. وَارْحَمْ عَجْزِي وَضَعْفِي وَقُفْرِي وَفَاقَتِي. فَقَدْ ضَاقَ صَدْرِي، وَضَاعَ عُمْرِي،
وَفَنِي صَبْرِي، وَتَاهَ فِكْرِي، وَأَنْتَ الْعَالِمُ بِسِرِّي وَجَهْرِي، وَأَنْتَ الْمَالِكُ لِتَنْفَعِي وَضَرِّي،
وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى تَفْرِيجِ كَرْبِي وَتَيْسِيرِ عُسْرِي. فَفَرِّجْ كُلَّ كَرْبَتِي وَيَسِّرْ عَلَيَّ وَعَلَى إِخْوَانِي
كُلَّ عَسِيرٍ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّمَانِ الْآتِي، وَعَنِ أَهْوَالِهِ مَعَ سَوْقِ إِلَيْهِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَاضِي
وَلَدَائِدِهِ مَعَ عِلَاقَةٍ بِهِ إِلَّا بِكَ يَا أَرْزَلِي يَا أَبْدِي.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الزَّوَالِ الَّذِي أَخَافُ وَلَا أَخْلَصُ مِنْهُ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى إِعَادَةِ مَا فَاتَ مِنْ
حَيَاتِي الَّتِي أَتَحَسَّرُهَا، وَلَا أَصِلُ إِلَيْهَا إِلَّا بِكَ يَا سَرْمَدِي يَا بَاقِي.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ ظُلْمَةِ الْعَدَمِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى نُورِ الْوُجُودِ إِلَّا بِكَ يَا مُوجِدُ يَا مَوْجُودُ
يَا قَدِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْمَضَارِّ اللَّاحِقَةِ بِالْحَيَاةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَسَارِّ اللَّازِمَةِ لِلْحَيَاةِ إِلَّا
بِكَ يَا مُدَبِّرُ يَا حَكِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَلَامِ الْهَاجِمَةِ عَلَى ذِي الشُّعُورِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى اللَّذَائِدِ الْمَطْلُوبَةِ
لِذِي الْحَسَنِ إِلَّا بِكَ يَا مُرَبِّي يَا كَرِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْمَسَاوِي الْعَارِضَةِ لِذَوِي الْعُقُولِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْمَحَاسِنِ الْمُرْتَبِتَةِ
لِذَوِي الْهَمَمِ إِلَّا بِكَ يَا مُحْسِنُ يَا كَرِيمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْبَقَمِ لِأَهْلِ الْعِصْيَانِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى النَّعْمِ لِأَهْلِ الطَّاعَاتِ إِلَّا بِكَ
يَا غَفُورُ يَا مُنْعِمُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَحْزَانِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْأَفْرَاحِ إِلَّا بِكَ. فَإِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَضْحَكَ
وَأَبْكَى يَا جَمِيلُ يَا جَلِيلُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْعَلَلِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْعَافِيَةِ إِلَّا بِكَ يَا شَافِي يَا مُعَافِي.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْأَلَامِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْأَمَالِ إِلَّا بِكَ يَا مُنْجِي يَا مُغِيثُ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الظُّلْمَاتِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْأَنْوَارِ إِلَّا بِكَ يَا نُورُ يَا هَادِي.

إِلَهِي لَا حَوْلَ عَنِ الشُّرُورِ مُطْلَقًا؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الْخَيْرَاتِ أَصْلًا إِلَّا بِكَ يَا مَنْ بِيَدِهِ الْخَيْرُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِعِبَادِهِ بَصِيرٌ، وَبِحَوَائِجِ مَخْلُوقَاتِهِ خَبِيرٌ.

إِلَهِي! لَا حَوْلَ عَنِ الْمَعَاصِي إِلَّا بِعِصْمَتِكَ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى الطَّاعَةِ إِلَّا بِتَوْفِيقِكَ يَا مُوَفِّقُ
يَا مُعِينُ.

إِلَهِي! لِي عِلَاقَاتٌ شَدِيدَةٌ مَعَ نَوْعِي الْإِنْسَانِي، مَعَ أَنَّ آيَةَ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (آل
عمران: ١٨٥) تُهَدِّدُنِي وَتُطْفِئُ أَمَالِي الْمُتَعَلِّقَةَ بِنَوْعِي وَجِنْسِي، وَتَنْعِي عَلَيَّ بِمَوْتِهِمَا. فَلَا حَوْلَ

عَنْ ذَاكَ الْحُزْنَ الْأَلِيمِ النَّاشِئِ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْتِ وَالنَّبِيِّ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى تَسَلِّ يَمَلَأُ مَحَلَّ مَا زَالَ
عَنْ قَلْبِي وَرُوحِي إِلَّا بِكَ. فَأَنْتَ الَّذِي تَكْفِي عَن كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَكْفِي عَنكَ كُلُّ شَيْءٍ.
إِلَهِي! لِي عِلَاقَاتٌ شَدِيدَةٌ مَعَ دُنْيَايَ الَّتِي كَبَيْتِي وَمَنْزَلِي؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرحمن: ٢٦-٢٧﴾ تُعَلِنُ خِرَابِيَّةَ بَيْتِي هَذَا، وَزَوَالَ
مَحْبُوبَاتِي اللَّاتِي سَاكَنْتُهُمْ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ الْمُنْهَدِمِ؛ وَلَا حَوْلَ عَن هَذِهِ الْمُصِيبَةِ الْهَائِلَةِ،
وَعَن الْفِرَاقَاتِ مِنَ الْأَحْبَابِ الْآفِلَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّبُنِي عَنْهَا، وَيَقُومُ مَقَامَهَا إِلَّا بِكَ يَا
مَنْ يَقُومُ جَلُوءَ مَنْ تَجَلَّيَاتِ رَحْمَتِهِ مَقَامَ كُلِّ مَا فَارَقْنِي.

إِلَهِي لِي عِلَاقَاتٌ^(١) بِجَامِعِيَّةٍ مَا هَيْتِي، وَغَايَةِ كَثْرَةِ جِهَازَاتِي الَّتِي أَنْعَمْتَهَا عَلَيَّ،
وَاحْتِيَاجَاتٍ شَدِيدَةٍ إِلَى الْكَائِنَاتِ وَأَنْوَاعِهَا؛ مَعَ أَنَّ آيَةَ ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ
الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (الفصص: ٨٨) تُهَدِّدُنِي وَتَقْطَعُ عِلَاقَاتِي الْكَثِيرَةَ مِنَ الْأَشْيَاءِ. وَبِانْقِطَاعِ
كُلِّ عِلَاقَةٍ يَتَوَلَّدُ جُزْءٌ وَالْمُ مَعْنَوِيٌّ فِي رُوحِي. وَلَا حَوْلَ عَن تِلْكَ الْجُزْوَاحَاتِ الْغَيْرِ
الْمَحْدُودَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى أَدْوَبَتِهَا إِلَّا بِكَ يَا مَنْ يَكْفِي لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَكْفِي عَن شَيْءٍ وَاحِدٍ
مِنْ تَوَجُّهِ رَحْمَتِهِ كُلِّ الْأَشْيَاءِ، وَيَا مَنْ إِذَا كَانَ لِشَيْءٍ كَانَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ لَا
يَكُونُ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

إِلَهِي! لِي عِلَاقَاتٌ شَدِيدَةٌ وَابْتِلَاءٌ وَمَفْتُونِيَّةٌ مَعَ شَخْصِيَّتِي الْجِسْمَانِيَّةِ، حَتَّى كَأَنَّ جِسْمِي
عَمُودٌ فِي نَظْرِي الظَّاهِرِي لِسَقْفِ جَمِيعِ آمَالِي وَمَطَالِبِي؛ وَفِي عَشْقٍ شَدِيدٍ لِلْبَقَاءِ؛ مَعَ أَنَّ
جِسْمِي لَيْسَ مِنْ حَدِيدٍ وَلَا حَجَرٍ لِيَدُومَ فِي الْجُمْلَةِ، بَلْ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَعَظْمٍ عَلَى جَنَاحِ
التَّفَرُّقِ فِي كُلِّ أَنْ؛ وَمَعَ أَنَّ حَيَاتِي كَجِسْمِي مَحْدُودَةُ الطَّرْفَيْنِ، سَتُنْخَتَمُ بِخَاتَمِ الْمَوْتِ عَن
قَرِيبٍ؛ مَعَ أَنِّي قَدْ اشْتَعَلَ الرَّأْسَ شَيْبًا مَنِّي، وَقَدْ ضَرَبَ السَّقْمُ ظَهْرِي وَصَدْرِي، فَأَنَا فِي
قَلْبِي وَضَجْرٍ وَاضْطِرَابٍ وَتَأَلْمٍ وَتَحْزُنٍ شَدِيدٍ مِنْ هَذِهِ الْكَيْفِيَّةِ. فَلَا حَوْلَ عَن هَذِهِ الْحَالَةِ
الْهَائِلَةِ؛ وَلَا قُوَّةَ عَلَى مَا يُسَلِّبُنِي عَمَّا يَحْزُنُنِي، وَعَلَى مَا يُعَوِّضُنِي مَا يَضِيعُ مِنِّي، وَعَلَى مَا
يَقُومُ مَقَامَ مَا يَفُوتُ مِنِّي إِلَّا بِكَ يَا رَبِّي الْبَاقِي، وَالْبَاقِي بِنِقَائِهِ وَإِبْقَائِهِ مَنْ تَمَسَّكَ بِاسْمِ مَنْ
أَسْمَائِهِ الْبَاقِيَّةِ.

(١) لقد أشيرت إلى مراتب "لا حول ولا قوة.." هذه وإلى حقائقها، بإشارات فقط. أما البراهين والدلائل فلم
تذكر، لأن المثبات بل الآلاف من براهين الوجدانية ودلائل الربوبية المذكورة في الأبواب السابقة هي دلائل
على حقائق "لا حول ولا قوة..." بصفة عامة. فلذلك لم تذكر أدلة مستقلة أخرى. (المؤلف).

إلهي! لي ولكل ذي حياة خوف شديد من الموت والزوال اللذين لا مفر منهما؛ ولي محبة شديدة للحياة والعمر اللذين لا دوام لهما؛ مع أن تسارع الموت إلى أجسامنا بهجوم الأجال لا يبقيني لي ولا لأحد أملاً من الآمال الدنيوية إلا ويقطعها، ولا لذة إلا ويهدمها. فلا حول عن تلك البلية الهائلة ولا قوة على ما يسلينا عنها إلا بك يا خالق الموت والحياة! ويا من له الحياة السرمديّة، الذي من تمسك به وتوجه إليه ويعرفه ويحبّه؛ تدوم حياته ويكون الموت له تجدد حياة وتبديل مكان. فإذا فلا حزن له ولا ألم عليه بسير ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (يونس: ٦٢).

إلهي! لي لأجل نوعي وجنسي علاقات بتألمات وتميمات بالسموات والأرض وبأحوالها. فلا قوة لي بوجه من الوجوه على إسماع أمري لهما، وتبليغ أملي لتلك الأجرام، ولا حول عن هذا الابتلاء والعلاقة إلا بك يا رب السموات والأرض! ويا من سخرهما لعباده الصالحين.

إلهي! لي ولكل ذي عقل علاقات مع الأزمنة الماضية والأوقات الاستقبالية؛ مع أننا قد انحسنا في زمان حاضر ضيق لا تصل أيدينا إلى أدنى زمان ماضٍ ومستقبل لجلب من ذلك ما يفرحنا، أو لدفع من هذا ما يحزننا. فلا حول عن هذه الحالة، ولا قوة على تحويلها إلى أحسن الحال إلا بك يا رب الدهور والأزمان.

إلهي! لي في فطرتي ولكل أحد في فطرتهم آمال أبدية ومطالب سرمديّة تمتد إلى أبد الآباد. إذ قد أودعت في فطرتنا استعداداً عجباً جامعاً، فيه احتياج ومحبّة لا يشبعهما الدنيا وما فيها، ولا يرضى ذلك الاحتياج وتلك المحبّة إلا بالجنة الباقية؛ ولا يطمئن ذلك الاستعداد إلا بدار السعادة الأبدية. يا رب الدنيا والآخرة ويا رب الجنة ودار القرار. (١)

(١) كان من المقرر أن تكتب عشرون مرتبة من مراتب "لا حول ولا قوة.." في البداية. وقد أخرجتها على أمل كتابتها في الختام. ولما بلغنا الختام تأخرت حالياً. لأن هذه الأدلة لو وضحت لطالت كثيراً، وإن كُتبت بإشارات تخصصي فحسب لكانت الاستفادة منها قليلة. لذا أرجئت إلى وقت آخر. (المؤلف).

الباب السابع

في شهادة: نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ

المقام الأول

اللَّهُمَّ يَا رَبَّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَيَا رَبَّ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَيَا رَبَّ النَّبِيِّينَ وَالْأَخْيَارِ، يَا رَبَّ الصِّدِّيقِينَ وَالْأَبْرَارِ، يَا رَبَّ الصِّغَارِ وَالْكِبَارِ، يَا رَبَّ الْحُبُوبِ وَالْأَثْمَارِ، يَا رَبَّ الْأَنْهَارِ وَالْأَشْجَارِ، يَا رَبَّ الصَّحَارَى وَالْقِفَارِ، يَا رَبَّ الْعَبِيدِ وَالْأَحْرَارِ، يَا رَبَّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
أَمْسِينَا وَأَصْبَحْنَا نَشْهَدُكَ وَنَشْهَدُ جَمِيعَ صِفَاتِكَ الْمُتَقَدِّسَةِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ أَسْمَائِكَ الْحُسْنَى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَلَائِكَتِكَ الْعُلْيَا.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِكَ الشَّتَّى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ أَنْبِيَائِكَ الْعُظْمَى. وَجَمِيعَ أَوْلِيَائِكَ الْكُبْرَى. وَجَمِيعَ أَصْفِيَائِكَ الْعُلْيَا.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ آيَاتِكَ التَّكْوِينِيَّةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحصى.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مَصْنُوعَاتِكَ الْمُزَيَّنَاتِ الْمُوزُونَاتِ الْمَنْظُومَاتِ الْمُتَمَائِلَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ ذَرَّاتِ الْكَائِنَاتِ الْعَاجِزَاتِ. الْجَامِدَاتِ الْجَاهِلَاتِ وَالْحَامِلَةِ -بِحَوْلِكَ وَطَوْلِكَ وَأَمْرِكَ وَإِذْنِكَ- عَجَائِبِ الْوُظَائِفِ الْمُتَنْظِمَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ مُرَكَّبَاتِ الذَّرَاتِ الْغَيْرِ الْمَحْدُودَاتِ الْمُتَنَوِّعَاتِ الْمُتَنْظِمَاتِ الْمُتَقَنَّنَاتِ الْمَصْنُوعَاتِ مِنْ الْبَسَائِطِ الْجَامِدَاتِ.. وَنَشْهَدُ جَمِيعَ تَرْكِبَاتِ الْمَوْجُودَاتِ النَّامِيَاتِ الْمُخْتَلِطَةِ مَوَادِّ حَيَاتِهَا فِي غَايَةِ الْاِخْتِلَاطِ، وَالْمُتَمَيِّزَةِ دَفْعَةً فِي غَايَةِ الْاِمْتِيَازِ.. وَنَشْهَدُ حَبِيبَكَ الْأَكْرَمَ سُلْطَانَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ أَفْضَلَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَا الْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ.. وَنَشْهَدُ فُرْقَانَكَ الْحَكِيمَ ذَا الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، وَالْبَرَاهِينِ النَّبِيَّاتِ، وَالِدَلَالِيلِ الْوَاضِحَاتِ، وَالْأَنْوَارِ السَّاطِعَاتِ: بِأَنَّ كُنَّا نَشْهَدُ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاجِبُ الْوُجُودِ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ الْقَدِيرُ الْمُرِيدُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ الْعَدْلُ الْحَكَمُ الْمُقْتَدِرُ الْمُتَكَلِّمُ، لَكَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى.. وَكَذَا نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَبِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.. وَكَذَا نَشْهَدُ بِكُلِّ

مَا مَرَّ، وَمَعَ كُلِّ مَا مَرَّ بِأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ وَصَفِيُّكَ وَخَلِيلُكَ، وَجَمَالَ مُلْكِكَ، وَمَلِكِكَ، وَمَلِكِكَ، وَصُنْعِكَ، وَعَيْنِ عِنَايَتِكَ، وَشَمْسِ هِدَايَتِكَ، وَلِسَانِ مَحَبَّتِكَ، وَمِثَالِ رَحْمَتِكَ، وَتَوْزُؤِ خَلْقِكَ، وَشَرَفِ مَوْجُودَاتِكَ،^(١) وَكَشَافِ طَلْسِمِ كَائِنَاتِكَ، وَدَلَالِ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ، وَمَعْرِفِ كُنُوزِ أَسْمَائِكَ، وَمُعَلِّمِ أَوْامِرِكَ لِعِبَادِكَ وَمُفَسِّرِ آيَاتِ كِتَابِ كَائِنَاتِكَ، وَمَدَارِ شُهُودِكَ وَإِشْهَادِكَ، وَمِرَاةِ مُحَبَّتِكَ لِحَمَالِكَ وَأَسْمَائِكَ، وَمَحَبَّتِكَ لِصَنَعَتِكَ وَمَصْنُوعَاتِكَ، وَلِمَحَاسِنِ مَخْلُوقَاتِكَ، وَحَبِيبِكَ وَرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَلِبَيَانِ مَحَاسِنِ كَمَالَاتِ سُلْطَنَةِ رُبُوبِيَّتِكَ بِحِكْمَةٍ صَنَعَةٍ صَبْغَةٍ نُفُوشِ قَصْرِ الْعَالَمِينَ، وَلِتَعْرِيفِ كُنُوزِ أَسْمَائِكَ بِإِشَارَاتِ حِكْمِيَّاتِ كَلِمَاتِ آيَاتِ سُطُورِ كِتَابِ الْعَالَمِينَ، وَلِبَيَانِ مَرْضِيَّاتِكَ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِخْوَانِهِ أَلْفَ أَلْفِ صَلَاةٍ وَسَلَامٍ فِي كُلِّ أَنْ وَزَمَانٍ.

اللَّهُمَّ يَا حَفِيزُ يَا حَافِظُ يَا خَيْرَ الْحَافِظِينَ نَسْتُودِعُ حِفْظَكَ وَحِمَايَتِكَ وَرَحْمَتَكَ هَذِهِ الشَّهَادَاتِ الَّتِي أَنْعَمْتَهَا عَلَيْنَا. فَاحْفَظْهَا إِلَى يَوْمِ الْحَشْرِ وَالْمِيزَانِ آمِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المقام الثاني

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي^(٢) دَلَّ عَلَى وُجُوبِ وُجُودِهِ، وَدَلَّ النَّاسَ عَلَى أَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَشَهِدَ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ: الشَّاهِدُ الصَّادِقُ، وَالْبُرْهَانُ الْمُصَدِّقُ، النَّاطِقُ الْمُحَقِّقُ، سَيِّدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِهِمْ وَتَصَدِيقِهِمْ وَمُعْجَزَاتِهِمْ، وَإِمَامُ الْأَوْلِيَاءِ وَالصِّدِّيقِينَ، الْحَاوِي لِسِرِّ اتِّفَاقِهِمْ وَتَحْقِيقِهِمْ وَكِرَامَاتِهِمْ، ذُو الْإِرْهَاصَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالْبِرَاهِينَ الْقَاطِعَةِ الْوَاضِحَةِ، ذُو الْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ فِي ذَاتِهِ،

(١) إن كل كلمة في هذه الشهادة الثانية تومئ إلى برهان صادق حق من البراهين الحقة للنبوة الأحمدية، كما تشير إلى وظيفة من وظائف النبوة، وإلى مقام من المقامات المحمدية، مثلما كل فقرة في الشهادة الأولى تدل على كثير من براهين الوجدانية، فكان كلا من تلك الكلمات وال فقرات شاهدة لي، وتشهد معي، وأنا بنيتي أقلب شهادتها التي هي بلسان الحال إلى لسان المقال، فنشهد معاً. (المؤلف).

(٢) إن إيضاح هذا المقام هو في آخر "المكتوب التاسع عشر" وهو رسالة المعجزات الأحمدية، وإن كل قيد وكل كلمة فيه يشير إلى دليل من دلائل الرسالة الأحمدية كما أنه يومئ إلى البراهين الدالة على أن القرآن الحكيم هو كلام الله.

ولقد ذكر النبي ﷺ والقرآن الكريم هنا، على أن كل واحد منهما دليل سامٍ للغاية على وحدانية الله سبحانه وتعالى. (المؤلف).

وَالْخِصَالِ الْعَالِيَةِ فِي وَظِيفَتِهِ، وَالسَّجَايَا السَّامِيَةِ فِي شَرِيعَتِهِ، مَهْبَطُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِاجْتِمَاعِ الْمُنزَلِ بِتَوْفِيقِ لَهُ، وَالْمُنزَلِ بِإِعْجَازِهِ، وَالْمُنزَلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ، وَالْمُنزَلِ إِلَيْهِمْ بِكُشُوفِهِمْ وَتَحْقِيقَاتِهِمْ، سَيَّارُ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالْمَلَكُوتِ، مُشَاهِدُ الْأَرْوَاحِ وَمُصَاحِبُ الْمَلَائِكَةِ مُرْشِدُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَأَنْوَرُ ثَمَرَاتِ شَجَرَةِ الْخَلْقَةِ، سِرَاجُ الْحَقِّ، بُرْهَانُ الْحَقِيقَةِ، لِسَانُ الْمَحَبَّةِ، مِثَالُ الرَّحْمَةِ. كَاشِفُ طَلْسِمِ الْكَائِنَاتِ، حَلَّالُ مُعَمَّى الْخَلْقَةِ، دَلَالُ سَلْطَنَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، مَدَارُ ظُهُورِ مَقَاصِدِ خَالِقِ الْكَائِنَاتِ فِي خَلْقِ الْمَوْجُودَاتِ، وَوَاسِطَةُ تَظَاهِرِ كَمَالَاتِ الْكَائِنَاتِ، الْمُرْمِزُ بِشَخْصِيَّتِهِ الْمَعْنَوِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ نُصِبَ عَيْنِ فَاطِرِ الْكُونِ فِي خَلْقِ الْكَائِنَاتِ "يَعْنِي أَنَّ الصَّانِعَ نَظَرَ إِلَيْهِ وَخَلَقَ لِأَجَلِهِ وَلِأَمثَالِهِ هَذَا الْعَالَمَ" ذُو الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ بَدَسَاتِيرُهَا أَنْمُودُجٌ دَسَاتِيرِ السَّعَادَةِ فِي الدَّارَيْنِ، كَأَنَّ ذَلِكَ الدِّينَ فَهَرِسْتَهُ أُخْرِجَتْ مِنْ كِتَابِ الْكَائِنَاتِ، فَكَأَنَّ الْقُرْآنَ الْمُنزَلَ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ لآيَاتِ الْكَائِنَاتِ، الْمُشِيرُ دِينَهُ الْحَقُّ إِلَى أَنَّهُ نِظَامٌ نَاطِمُ الْكُونِ. فَنَاطِمٌ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ بِهَذَا النِّظَامِ الْأَكْمَلِ هُوَ نَاطِمٌ ذَلِكَ الدِّينِ الْجَمَاعِ بِهَذَا النَّظْمِ الْأَحْسَنِ الْأَجْمَلِ، سَيِّدُنَا نَحْنُ مَعَاشِرُ بَنِي آدَمَ، وَمُهْدِينَا إِلَى الْإِيْمَانِ نَحْنُ مَعَاشِرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَأَتْمُ التَّسْلِيمَاتِ مَا دَامَتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ. فَإِنَّ ذَلِكَ الشَّاهِدَ يَشْهَدُ عَنِ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ بِطُورِ الْمُشَاهِدِ.

نَعَمْ، يُشَاهَدُ أَنَّهُ يُشَاهَدُ ثُمَّ يَشْهَدُ مُنَادِيًا لِأَجْيَالِ الْبَشَرِ خَلْفَ الْأَعْصَارِ وَالْأَقْطَارِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ.

نَعَمْ، فَهَذَا صَدَى صَوْتِهِ يُسْمَعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْمَاضِي إِلَى شَوَاهِقِ الْاسْتِقْبَالِ وَبِجَمِيعِ قُوَّتِهِ. نَعَمْ، فَقَدْ اسْتَوْلَى عَلَى نِصْفِ الْأَرْضِ، وَانْصَبَّ بِصَبْغِهِ السَّمَاوِيَّ خُمُسَ بَنِي آدَمَ، وَدَامَتْ سَلْطَنَتُهُ الْمَعْنَوِيَّةُ أَلْفًا وَثَلَاثَمِائَةً وَخَمْسِينَ سَنَةً فِي كُلِّ زَمَانٍ، يَحْكُمُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا عَلَى ثَلَاثَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مِليُونًا مِنْ رَعِيَّتِهِ الصَّادِقَةِ الْمُطِيعَةِ بِانْقِيَادِ نَفْسِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَعُقُولِهِمْ لِأَوَامِرِ سَيِّدِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ، وَبِعَايَةِ جَدِّيَّتِهِ بِشَهَادَاتِ قُوَّةِ دَسَاتِيرِهِ الْمُسْتَمَرَّةِ عَلَى صُخُورِ الدُّهُورِ وَعَلَى جِبَاهِ الْأَقْطَارِ، وَبِعَايَةِ وَثُوقِهِ بِشَهَادَةِ زُهْدِهِ وَاسْتِغْنَائِهِ عَنِ الدُّنْيَا، وَبِعَايَةِ اطمئنانه وَوُثُوقِهِ بِشَهَادَةِ سِيرِهِ وَبِعَايَةِ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ بِشَهَادَةِ أَنَّهُ أَعْبَدُ وَأَتَقَى مِنَ الْكُلِّ بِاتِّفَاقِ الْكُلِّ، شَهَادَةُ جَازِمَةٌ مُكْرَّرَةٌ: بـ:

"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" الَّذِي دَلَّ عَلَىٰ وُجُوبِ وُجُودِهِ، وَصَرَّحَ بِأَوْصَافِ جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ وَكَمَالِهِ، وَشَهِدَ أَنَّهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، الْفُرْقَانُ الْحَكِيمُ الْحَاوِي لِسِرِّ إِجْمَاعِ كُلِّ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ وَالْمُؤَخِّدِينَ الْمُخْتَلِفِينَ فِي الْمَشَارِبِ وَالْمَسَالِكِ الْمُتَّفِقَةَ قُلُوبُ هَؤُلَاءِ وَعُقُولُ أَوْلِيكَ بِحَقَائِقِ كُتُبِهِمْ عَلَى تَصْدِيقِ أُسَاسَاتِ الْقُرْآنِ الْمُتَوَرِّجِ جِهَاتِهِ السَّبْتِ؛ إِذْ عَلَى ظَهْرِهِ سَكَّةُ الْإِعْجَازِ، وَفِي بَطْنِهِ حَقَائِقُ الْإِيمَانِ، وَتَحْتَهُ بَرَاهِينُ الْإِذْعَانِ، وَهَدَفُهُ سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، وَنُقْطَةُ اسْتِنَادِهِ مَحْضُ الْوَحْيِ الرَّبَّانِيِّ بِإِجْمَاعِ الْمُنْزَلِ بآيَاتِهِ، وَالْمُنْزَلِ بِإِعْجَازِهِ، وَالْمُنْزَلِ عَلَيْهِ بِقُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَأَمْنِيَّتِهِ، وَكَمَالِ تَسْلِيمِيَّتِهِ وَصَفْوَتِهِ، وَوَضْعِيَّتِهِ الْمَعْلُومَةِ عِنْدَ نَزْوِلِهِ، مَجْمَعُ الْحَقَائِقِ بِالْيَقِينِ، وَمَتَّبِعُ أَنْوَارِ الْإِيمَانِ بِالْبَدَاهَةِ، الْمُوَصِّلُ إِلَى السَّعَادَاتِ بِالْيَقِينِ. ذُو الْأَثْمَارِ الْكَامِلِينَ بِالْمُشَاهَدَةِ، مَقْبُولُ الْمَلِكِ وَالْإِنْسِ وَالْجَنِّ بِالْحَدْسِ الصَّادِقِ مِنْ تَفَارِقِ الْأَمَارَاتِ، الْمُؤَيَّدُ بِالذَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ بِاتِّفَاقِ الْعُقَلَاءِ الْكَامِلِينَ، وَالْمُصَدِّقُ بِالْفُطْرَةِ السَّلِيمَةِ بِشَهَادَةِ اطمِئنانِ الْوَجْدَانِ بِهِ، الْمُعْجِزَةُ الْأَبَدِيَّةُ بِالْمُشَاهَدَةِ، ذُو الْبَصَرِ الْمُطْلَقِ يَرَى الْأَشْيَاءَ بِكَمَالِ الْوُضُوحِ، يَرَى الْعَائِبَ الْبَعِيدَ كَالْحَاضِرِ الْقَرِيبِ. ذُو الْإِنْبِسَاطِ الْمُطْلَقِ يُعَلِّمُ الْمَلَأَ الْأَعْلَى مِنَ الْمُقَرَّبِينَ بِدَرْسٍ، وَيُعَلِّمُ أَطْفَالَ الْبَشَرِ بَعِينَ ذَلِكَ الدَّرْسِ، وَيَشْمَلُ تَعْلِيمُهُ وَتَعْلِيمَاتُهُ طَبَقَاتِ ذَوِي الشُّعُورِ مِنْ أَعْلَى الْأَعَالِي إِلَى أَسْفَلِ الْبَسَائِطِ. لِسَانُ الْغَيْبِ فِي عَالَمِ الشَّهَادَةِ، شَهَادَةٌ جَازِمَةٌ مُكْرَّرَةٌ بـ "لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ" و"فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".